مغامرات الظربان جيمي

ثورنتون دبليو برجس



مُغَامَرَاتُ الظَّرِبَانِ جيمي

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
سارة عادل

مراجعة
لبنى عماد تركي

هنـــداوي

مُغَامَرَاتُ الظَّرِبَانِ جيمي

ثورنتون دبليو برجس

The Adventures of Jimmy Skunk

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادى.

الترقيم الدولي: ٩ ١٣٨٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

المحتويات

الفصل الأول

الْأَرْنَب بيتر يُدَبِّرُ خُدْعَةً

شَيْطَانُ الْأَذَى، وَيَا لَلْأَسَفِ، مَشْغُولٌ يَعْمَلُ دُونَ كَلَلٍ.

لِهَذَا يَقَعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْمُشْكِلَاتِ دَائِمًا وَأَبَدًا؛ فَشَيْطَانُ الْأَذَى لَا يَهْدَأُ، لَا يَهْدَأُ إِلَّا مُضْطَرًّا، فَمَا إِنْ يُسْمَحْ لَهُ بِالْبَدْءِ فِي عَمَلِهِ، لَا يَعْلَمْ أَحَدٌ مَتَى يَنْتَهِي. كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر قَدْ رَأَى لِتَوِّهِ الظَّرِبَانَ جيمي يَخْتَفِي دَاخِلَ بِرْمِيلٍ مُلْقًى عَلَى جَانِبِهِ فَوْقَ التَّلِّ، وَعَلَى الْفَوْرِ بَدَأَ شَيْطَانُ الْأَذَى يُوَسْوِسُ لِبيتر. بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لِبيتر أَنْ يُنْصِتَ لَهُ، وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ فَعَلَ؛ فَكَمَا تَعْرِفُونَ، بيتر مُولَعٌ بِالْحِيَلِ حِينَ يَكُونُ الْآخَرُونَ ضَحِيَّتَهَا. وَهَكَذَا، ظَلَّ بيتر فِي مَكْمَنِهِ، وَأَخَذَ يَتَطَلَّعُ لِيَرَى إِذَا كَانَ جيمي سَيَخْرُجُ مِنَ الْبِرْمِيلِ، وَلَكِنَّ جيمي لَمْ يَخْرُجْ، وَبَعْدَ بُرْهَةٍ تَسَلَّلَ بيتر إِلَى مَوْضِعِ الْبِرْمِيلِ وَاخْتَلَسَ النَّظَرَ بِدَاخِلِهِ، وَهُنَاكَ رَأَى الظَّرِبَانَ جيمي مُتَكَوِّرًا عَلَى نَفْسِهِ فِي إِغْفَاءَةٍ.

سَارَ بيتر مُبْتَعِدًا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ بِهُدُوءٍ بَالِغٍ. وَطَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَ شَيْطَانُ الْأَذَى يُوَسْوِسُ لِبيتر بِأَنَّ هَذِهِ فُرْصَةٌ رَائِعَةٌ لِتَدْبِيرِ خُدْعَةٍ لِجيمي؛ فَمَا أَسْهَلَ أَنْ تُدَبِّرَ خُدْعَةً لِشَخْصٍ نَائِمٍ! وَنَادِرًا مَا تُتَاحُ لِبيتر فُرْصَةٌ لِلسُّخْرِيَةِ مِنْ جيمي؛ فَذَلِكَ تَصَرُّفٌ غَيْرُ مَأْمُونٍ إِذَا كَانَ جيمي مُسْتَيْقِظًا، وَبيتر خَيْرُ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ. جَلَسَ بيتر عَلَى مَسَافَةٍ مِنَ الْبِرْمِيلِ تَسْمَحُ لَهُ بِمُرَاقَبَتِهِ، ثُمَّ اسْتَغْرَقَ فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ. كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُدَبِّرَ حِيلَةً لِجيمي، وَلَكِنَّ بيتر — كَمُعْظَمِ الْأَشْخَاصِ كَثِيرِي الدُّعَابَةِ — لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي أَنْ تَنْقَلِبَ عَلَيْهِ دُعَابَتُهُ، بَلْ إِنَّ بيتر شَعَرَ بِأَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ كَثِيرًا أَلَّا يَعْرِفَ جيمي أَنَّ لَهُ — أَيْ بيتر — أَيَّةَ صِلَةٍ بِالدُّعَابَةِ.

وَبَيْنَمَا بيتر غَارِقٌ فِي أَفْكَارِهِ، تَصَادَفَ أَنْ وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَهُنَاكَ رَأَى شَيْئًا أَحْمَرَ اللَّوْنِ، فَأَمْعَنَ فِيهِ النَّظَرَ، وَسُرْعَانَ مَا أَدْرَكَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ الثَّعْلَبَ ريدي؛ فَبَدَأَ عَقْلُ بيتر النَّشِطُ فِي التَّخْطِيطِ لِلْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يُمْكِنُهُ بِهَا اسْتِغْلَالُ الثَّعْلَبِ ريدي لِتَدْبِيرِ خُدْعَةٍ لِجيمي. وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ، خَطَرَتْ بِبَالِهِ فِكْرَةٌ، جَعَلَتْهُ يَنْفَجِرُ ضَاحِكًا؛ فَقَدْ كَانَ شَيْطَانُ الْأَذَى شَدِيدَ الِانْشِغَالِ بِالْوَسْوَسَةِ لِبيتر.

فَكَّرَ بيتر قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «لَوْ أَنَّ ريدي يَأْتِي إِلَى هُنَا، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَكُونُ بِإِمْكَانِي أَنْ أُنَفِّذَ فِكْرَتِي، وَسَأَجْعَلُ مِنْ ريدي أَيْضًا أُضْحُوكَةً مِثْلَمَا سَأَفْعَلُ بِجيمي.» وَانْفَجَرَ ضَاحِكًا مَرَّةً أُخْرَى.

هُنَا سَمِعَ بيتر صَوْتًا يَقُولُ لَهُ سَائِلًا: «عَلَامَ تَضْحَكُ؟!» كَانَ ذَلِكَ صَوْتَ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي.

وَفَجْأَةً خَطَرَتْ عَلَى بَالِ بيتر خُطَّةٌ لِدَفْعِ الثَّعْلَبِ ريدي إِلَى الْمَجِيءِ إِلَيْهِ. سَيُثِيرُ غَضَبَ سامي؛ مِمَّا سَيَدْفَعُ سامي إِلَى الصُّرَاخِ. وَهَكَذَا، سَيَأْتِي إِلَيْهِ ريدي بِالتَّأْكِيدِ لِيَرَى سَبَبَ الْجَلَبَةِ الَّتِي يُحْدِثُهَا سامي. وَسامي سَرِيعُ الْغَضَبِ، وَبيتر خَيْرُ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ. وَهَكَذَا، عِوَضًا عَنِ الرَّدِّ عَلَى سامي بِأَدَبٍ — كَمَا كَانَ يَنْبَغِي — تَحَدَّثَ بيتر فِي حِدَّةٍ قَائِلًا:

«حَلِّقْ بَعِيدًا عَنْ هُنَا، يَا سامي، حَلِّقْ بَعِيدًا عَنْ هُنَا! لَا شَأْنَ لَكَ بِمَا أَضْحَكُ عَلَيْهِ.»

فَاشْتَاطَ سامي غَضَبًا عَلَى الْفَوْرِ، وَبَدَأَ فِي تَوْجِيهِ السِّبَابِ لِبيتر، وَبيتر يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ مِمَّا زَادَ سامي غَضَبًا، وَنَظَرًا لِأَنَّهُ دَائِمًا مَا يَصْرُخُ حِينَ يَكُونُ غَاضِبًا، فَإِنَّهُ سُرْعَانَ مَا بَدَأَ يُحْدِثُ جَلَبَةً عَالِيَةً لِدَرَجَةِ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ لَمْ يَسَعْهُ إِلَّا أَنْ يَسْمَعَهَا، فَرَآهُ بيتر يَرْفَعُ رَأْسَهُ لِيُنْصِتَ، وَفِي غُضُونِ بِضْعِ لَحَظَاتٍ، بَدَأَ الثَّعْلَبُ يُهَرْوِلُ تِجَاهَهُمَا. كَانَ آتِيًا لِمَعْرِفَةِ سَبَبِ كُلِّ تِلْكَ الضَّوْضَاءِ، وَكَانَ بيتر يَعْلَمُ أَنَّ ريدي لَنْ يَأْتِيَ بِالطَّرِيقِ الْمُبَاشِرِ؛ فَهَذَا لَيْسَ طَبْعَ ريدي، بَلْ إِنَّهُ سَيَتَسَلَّلُ مِنْ خَلْفِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عِنْدَ أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ خَلْفَ بيتر، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَرَى مَا يَحْدُثُ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ.

فَكَّرَ بيتر قَائِلًا لِنَفْسِهِ: «مَا إِنْ يَرَنِي، حَتَّى يَعْتَقِدَ أَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ سَنَحَتْ لَهُ أَخِيرًا لِيُمْسِكَ بِي، وَسَيَكُونُ عَلَيَّ أَنْ أَجْرِيَ بِأَقْصَى سُرْعَتِي، لَكِنْ إِذَا سَارَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ، فَإِنَّهُ سُرْعَانَ

مَا سَيَنْسَى أَمْرِي تَمَامًا. أَتَمَنَّى أَلَّا تَتَسَبَّبَ الضَّوْضَاءُ الَّتِي يُحْدِثُهَا طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي فِي إِيْقَاظِ الظَّرِبَانِ جيمي وَدَفْعِهِ لِلْخُرُوجِ مِنَ الْبِرْمِيلِ لِيَرَى مَا الْأَمْرُ.»

وَهَكَذَا بِعَيْنٍ عَلَى الْبِرْمِيلِ حَيْثُ يَغْفُو الظَّرِبَانُ جيمي، وَعَيْنٍ عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ الَّذِي يَتَوَقَّعُ أَنْ يَتَسَلَّلَ الثَّعْلَبُ ريدي مِنْ خَلْفِهِ؛ انْتَظَرَ بيتر غَيْرَ عَابِئٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالشَّتَائِمِ الَّتِي يَكِيلُهَا لَهُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي.

الفصل الثاني

بيتر يَثِبُ مُحلِّقًا

حَمَاقَةٌ بَالِغَةٌ هِيَ أَنْ تُضِيعَ حَيَاتَكَ سُدًى.

لَا تَنْسَ هَذِهِ الْمَقُولَةَ أَبَدًا. لَا تُقْدِمْ أَبَدًا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ التَّصَرُّفِ الْمَجْنُونِ الَّذِي قَامَ بِهِ الْأَرْنَبُ بيتر. مَاذَا كَانَ بيتر فَاعِلًا؟ عَجَبًا، كَانَ يُجَازِفُ بِأَنْ يَقَعَ فِي بَرَاثِنِ الثَّعْلَبِ ريدي مِنْ أَجْلِ مَزْحَةٍ؛ فَهَلْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتَ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ حُمْقًا مِنْ ذَلِكَ؟! وَلَكِنَّ بيتر لَا يَخْتَلِفُ عَنْ أَشْخَاصٍ كُثُرٍ يُخَاطِرُونَ بِحَيَاتِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ بِمُنْتَهَى الْإِهْمَالِ وَالطَّيْشِ مِنْ أَجْلِ تَوْفِيرِ بِضْعِ دَقَائِقَ أَوْ لِسَبَبٍ آخَرَ لَيْسَ أَقَلَّ حُمْقًا. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ بيتر لَمْ يَتَمَهَّلْ لِيُفَكِّرَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُخِيفَةِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ إِذَا لَمْ تَسِرْ خُطَطُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَنْوِيهِ. لَمْ يُفَكِّرْ لِلَحْظَةٍ فِي السَّيِّدَةِ بيتر الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَرَكَهَا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ وَكَيْفَ سَيَكُونُ شُعُورُهَا إِنْ لَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَيْتِ مَرَّةً أُخْرَى. تِلْكَ مُشْكِلَةُ الِاسْتِهْتَارِ؛ إِنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ الْآخَرِينَ أَبَدًا.

طَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي يَزْحَفُ فِيهِ وَرَاءَ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عِنْدَ حَافَةِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، كَانَ بيتر يَعْرِفُ مَوْضِعَهُ بِدِقَّةٍ، مَعَ أَنَّ ريدي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ، وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ، لَشَكَّ بِالْأَمْرِ وَظَنَّ أَنَّهَا إِحْدَى أَلَاعِيبِ الْأَرْنَبِ بيتر.

فَكَّرَ بيتر قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «سَوْفَ يَخْتَلِسُ النَّظَرَ مِنْ فَوْقِ الْجِدَارِ، وَمَا إِنْ يَرَنِي، فَسَيَمْتَلِئُ ثِقَةً بِأَنَّهُ سَوْفَ يُمْسِكُ بِي هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَسَيَتَسَلَّلُ وُصُولًا إِلَى ذَلِكَ الْجُزْءِ الْأَكْثَرِ انْخِفَاضًا مِنَ الْجِدَارِ، ثُمَّ يَقْفِزُ مِنْ فَوْقِهِ؛ فَيَجِبُ أَنْ أَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِلْقَفْزِ فِي اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا.»

حَدَثَ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا تَوَقَّعَ بيتر تَمَامًا؛ فَبَيْنَمَا كَانَ يَبْدُو كَأَنَّهُ لَا يَنْتَبِهُ لِأَيِّ شَيْءٍ سِوَى طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي، كَانَ بيتر مُبْقِيًا عَيْنَيْهِ عَلَى ذَلِكَ الْجُزْءِ الْمُنْخَفِضِ مِنَ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ؛

وَفَوْرًا رَأَى بيتر أَنْفَ ريدي الْحَادَّ، بَيْنَمَا كَانَ الْأَخِيرُ يَخْتَلِسُ النَّظَرَ مِنْ فَوْقِ الْجِدَارِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ بيتر لَا يَزَالُ هُنَاكَ. وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي اخْتَفَى فِيهَا هَذَا الْأَنْفُ الْحَادُّ عَنِ الْأَنْظَارِ، اسْتَعَدَّ بيتر لِلْفِرَارِ لِكَيْ يَنْجُوَ بِحَيَاتِهِ. وَبَعْدَ ثَانِيَةٍ، قَفَزَ ريدي مِنْ فَوْقِ الْجِدَارِ، وَجَرَى بيتر بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَريدي يَجْرِي فِي أَعْقَابِهِ. أَمَّا طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي — الَّذِي كَانَ مَشْغُولًا جِدًّا بِسَبِّ بيتر، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ ريدي عَلَى الْإِطْلَاقِ — فَقَدْ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ شِجَارِهِ مَعَ بيتر.

صَاحَ سامي فِي لَهْفَةٍ: «انْطَلِقْ يَا بيتر! انْطَلِقْ!» وَكَانَ ذَلِكَ يَلِيقُ بِسامي.

وَقَدِ انْطَلَقَ بيتر بِالْفِعْلِ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ بُدٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ يَجْرِي بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ. وَقَدِ ابْتَسَمَ ريدي مُكَشِّرًا عَنْ أَنْيَابِهِ حِينَ رَأَى بيتر يَنْطَلِقُ تِجَاهَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. كَانَتِ الْمَسَافَةُ طَوِيلَةً إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى ريدي أَدْنَى شَكٍّ فِي أَنَّهُ سَيُمْسِكُ بِبيتر قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى هُنَاكَ، وَأَخَذَ يَتَرَقَّبُ مُحَاذِرًا أَنْ يُرَاوِغَهُ بيتر وَيُحَاوِلَ الْعَوْدَةَ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ. هُوَ لَمْ يَكُنْ يَنْوِي أَنْ يَدَعَ بيتر يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ بيتر لَمْ يُحَاوِلْ فِعْلَ ذَلِكَ أَصْلًا؛ فَقَدِ انْطَلَقَ مُبَاشَرَةً تِجَاهَ حَافَةِ التَّلِّ الْقَائِمِ أَعْلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَهُنَاكَ — وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ — لَاحَظَ ريدي وُجُودَ بِرْمِيلٍ قَدِيمٍ مُلْقًى عَلَى جَانِبِهِ.

قَالَ الثَّعْلَبُ ريدي فِي نَفْسِهِ: «أَيَظُنُّ يَا تُرَى أَنَّهُ بِاسْتِطَاعَتِهِ الِاخْتِبَاءُ فِي هَذَا الْبِرْمِيلِ.» ثُمَّ كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ مَرَّةً أُخْرَى؛ إِذْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ قَدْ مَرَّ بِذَلِكَ الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ قَبْلَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ، وَأَنَّ إِحْدَى نَاحِيَتَيْهِ مَفْتُوحَةٌ وَالْأُخْرَى مُغْلَقَةٌ، وَفَكَّرَ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «إِذَا حَاوَلَ فِعْلَ ذَلِكَ، فَسَأُمْسِكُ بِهِ دُونَ أَنْ أَتَكَبَّدَ عَنَاءَ مُطَارَدَتِهِ.» وَضَحِكَ فِي سِرِّهِ.

رَاحَ بيتر يَجْرِي، وَالثَّعْلَبُ ريدي فِي أَعْقَابِهِ! أَمَّا عَنْ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي، فَقَدْ بَدَا لَهُ أَنَّ ريدي سَيُمْسِكُ بِبيتر حَتْمًا بِبِضْعِ قَفَزَاتٍ أُخْرَى، فَصَاحَ قَائِلًا: «انْطَلِقْ يَا بيتر! هَيَّا، انْطَلِقْ!» فَهُوَ بِرَغْمِ مُشَاجَرَاتِهِ مَعَ بيتر، لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي رُؤْيَتِهِ يَتَعَرَّضُ لِأَيِّ أَذًى حَقِيقِيٍّ.

وَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَى الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ، كَانَ ريدي قَرِيبًا جِدًّا مِنْ بيتر، حَتَّى إِنَّ بيتر كَادَ يَكُونُ وَاثِقًا مِنْ أَنَّهُ يَشْعُرُ بِأَنْفَاسِ ريدي. عِنْدَئِذٍ، وَثَبَ بيتر وَثْبَةً عَظِيمَةً فَوْقَ الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ وَوَاصَلَ رَكْضَهُ أَسْفَلَ التَّلِّ، وَرَاحَ يَرْكُضُ وَيَرْكُضُ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ، مُتَّجِهًا مُبَاشَرَةً إِلَى الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ الَّذِي يَعْرِفُهُ لِلْخُلْدِ جوني، وَحِينَ وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ، اسْتَدَارَ لِيَرَى مَا

يَحْدُثُ وَرَاءَهُ؛ حَيْثُ أَدْرَكَ مِنْ صِيَاحِ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي وَمِنْ أَصْوَاتٍ أُخْرَى أَنَّ أَمْرًا جَلَلًا يَحْدُثُ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ بيتر شِبْهَ مُتَأَكِّدٍ مِنْ أَنَّ حِيلَتَهُ تَسِيرُ بِنَجَاحٍ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَمَنَّاهُ.

الفصل الثالث

رِحْلَةُ الْبِرْمِيلِ

جَاءَتْ قَفْزَةُ الْأَرْنَبِ بيتر فَوْقَ الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ عِنْدَ حَافَةِ التَّلِّ مُبَاغِتَةً لِلثَّعْلَبِ ريدي. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ ريدي قَرِيبًا جِدًّا مِنَ الْأَرْنَبِ بيتر حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ فِي أَيِّ شَيْءٍ سِوَى الْإِمْسَاكِ بِهِ، وَكَانَ يَرْكُضُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَتَّسِعِ الْوَقْتُ أَمَامَهُ لِكَيْ يَقْفِزَ هُوَ أَيْضًا حِينَ قَفَزَ الْأَرْنَبُ بيتر قَفْزَتَهُ الْعَظِيمَةَ فَوْقَ الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ؛ فَارْتَطَمَ بِالْبِرْمِيلِ مُبَاشَرَةً. لَا شَكَّ أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَ أَنَّ الْبِرْمِيلَ كَانَ عِنْدَ حَافَةِ التَّلِّ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ ريدي حِينَمَا ارْتَطَمَ بِالْبِرْمِيلِ، تَدَحْرَجَ الْبِرْمِيلُ مِنْ شِدَّةِ الصَّدْمَةِ؛ وَطَبْعًا، بَدَأَ يَنْزِلُ مِنْ عَلَى التَّلِّ. وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الْبِرْمِيلَ تَسْهُلُ دَحْرَجَتُهُ؛ لِذَا مَا إِنْ يَنْدَفِعْ لِأَسْفَلِ التَّلِّ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ إِيقَافَهُ.

وَهَذَا مَا حَدَثَ بِالضَّبْطِ؛ فَالثَّعْلَبُ ريدي لَمْ يَكَدْ يَنْهَضُ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى كَانَ الْبِرْمِيلُ قَدْ قَطَعَ نِصْفَ طَرِيقِهِ لِأَسْفَلِ التَّلِّ مُنْطَلِقًا بِسُرْعَةٍ مُتَزَايِدَةٍ. أَخَذَ الْبِرْمِيلُ يَتَدَحْرَجُ مُتَقَافِزًا، وَكُلَّمَا اصْطَدَمَ بِنُتُوءٍ صَغِيرٍ، بَدَا كَأَنَّهُ يَقْفِزُ عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ، وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتْ تَصْدُرُ مِنْهُ ضَوْضَاءُ عَجِيبَةٌ. نَسِيَ ريدي تَمَامًا الْكَدَمَاتِ الْمُؤْلِمَةَ فِي جَسَدِهِ الَّتِي نَتَجَتْ عَنِ اصْطِدَامِهِ بِالْبِرْمِيلِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ وَقَفَ مُحَمْلِقًا فِي الْبِرْمِيلِ الَّذِي رَاحَ يَتَدَحْرَجُ بِلَا هَوَادَةٍ.

هَتَفَ قَائِلًا: «أَنَا وَاثِقٌ تَمَامَ الثِّقَةِ مِنْ أَنَّهُ ثَمَّةَ أَحَدٌ بِدَاخِلِ هَذَا الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ!» وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا؛ فَكَمَا تَذْكُرُونَ، كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي غَافِيًا دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَلَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، كَانَ جيمي مُسْتَيْقِظًا، بَلْ مُسْتَيْقِظًا تَمَامًا. وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ، كَانَ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، أَكْبَرَ كَثِيرًا مِنْ أَيِّ سُرْعَةٍ تَحَرَّكَ بِهَا مُنْذُ مَوْلِدِهِ. لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُرِيحًا عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ. نَعَمْ، لَمْ تَكُنْ تِلْكَ طَرِيقَةً مُرِيحَةً لِلتَّحَرُّكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَقَدْ رَاحَ

يَتَدَحْرَجُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ أَشْعَرَتْهُ بِالدُّوَارِ. فِي الْبِدَايَةِ، كَانَ رَأْسُهُ بِالْأَعْلَى، ثُمَّ انْقَلَبَ لِيَصِيرَ بِالْأَسْفَلِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَحْدُثُ بِسُرْعَةٍ بَالِغَةٍ، حَتَّى إِنَّهُ مَا عَادَ يُدْرِكُ فِي أَيِّ وَضْعٍ هُوَ، وَكُلَّمَا كَانَ الْبِرْمِيلُ الْقَدِيمُ يَقْفِزُ فِي الْهَوَاءِ عِنْدَ ارْتِطَامِهِ بِأَيِّ بُرُوزٍ فِي الْأَرْضِ، كَانَ جيمي يُقْذَفُ إِلَى أَعْلَى حَتَّى يَرْتَطِمَ بِأَيِّ جُزْءٍ مِنَ الْبِرْمِيلِ يُصَادِفُ وُجُودَهُ فَوْقَهُ. وَبِالطَّبْعِ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ مِنَ الْبِرْمِيلِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَدَحْرَجُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ جِدًّا بِحَيْثُ لَمْ يَحْظَ بِفُرْصَةِ الْمُحَاوَلَةِ.

لَمْ يَكُنْ ريدي يَعْلَمُ مَنْ بِدَاخِلِ الْبِرْمِيلِ، فَقَطْ كَانَ يَعْرِفُ مِنْ خِلَالِ الْأَصْوَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْبِرْمِيلِ أَنَّهُ ثَمَّةَ أَحَدٌ بِدَاخِلِهِ؛ لِذَا انْطَلَقَ نَازِلًا مِنْ عَلَى التَّلِّ وَرَاءَ الْبِرْمِيلِ لِيَرَى مَا سَيَحْدُثُ عِنْدَ تَوَقُّفِهِ. طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَتَرَاقَصُ مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَى الْبَقَاءِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْخُلْدِ جوني حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنَ الْقَفْزِ بِدَاخِلِهِ فِي حَالِ وُقُوعِ أَيِّ خَطَرٍ. وَرَأَى أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي قَدْ نَسِيَ أَمْرَهُ تَمَامًا وَسْطَ فُضُولِهِ لِمَعْرِفَةِ مَنِ الْمَوْجُودُ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَكَتَمَ ضَحْكَتَهُ حِينَ فَكَّرَ فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ عِنْدَمَا يَتَوَقَّفُ الْبِرْمِيلُ عَنِ التَّدَحْرُجِ وَيَكْتَشِفُ ريدي مَنْ بِدَاخِلِهِ. كَانَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي يَطِيرُ فَوْقَهُ، صَارِخًا بِمِلْءِ صَوْتِهِ حَتَّى كَادَ يَنْشَقُّ حَلْقُهُ. كَانَ الْأَمْرُ بِرُمَّتِهِ أَكْثَرَ مَا رَآهُ بيتر فِي حَيَاتِهِ إِثَارَةً.

وَتَصَادَفَ أَنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ كَانَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى عُبُورِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ تَمَامًا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ تَدَحْرُجُ الْبِرْمِيلِ مِنْ عَلَى التَّلِّ، وَبِالطَّبْعِ سَمِعَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ الضَّوْضَاءَ؛ فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَى لِيَعْرِفَ مَصْدَرَهَا، وَحِينَ رَأَى الْبِرْمِيلَ يَنْدَفِعُ تِجَاهَهُ، شَعَرَ بِالْخَوْفِ، فَأَطْلَقَ عُوَاءً وَانْطَلَقَ يَجْرِي نَحْوَ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ، وَقَدْ أَتَاحَ بِذَلِكَ الْفُرْصَةَ لِبيتر لِيَعْرِفَ مَدَى سُرْعَتِهِ — أَيِ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ — فِي الْجَرْيِ. وَعَلَيْهِ؛ قَرَّرَ بيتر أَلَّا يَدْخُلَ فِي سِبَاقِ جَرْيٍ مَعَهُ أَبَدًا.

وَبِالْأَسْفَلِ عِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ، كَانَ ثَمَّةَ حَجَرٌ ضَخْمٌ، وَحِينَ اصْطَدَمَ بِهِ الْبِرْمِيلُ، انْكَسَرَتِ الْحَلَقَاتُ الْمَعْدِنِيَّةُ الَّتِي تَرْبِطُ أَجْزَاءَهُ مَعًا؛ فَتَحَوَّلَ الْبِرْمِيلُ إِلَى أَجْزَاءٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَحِينَهَا قَرَّرَ بيتر أَنَّهُ قَدْ حَانَ وَقْتُ اخْتِفَائِهِ عَنِ الْأَنْظَارِ. وَهَكَذَا، انْطَلَقَ إِلَى دَاخِلِ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ وَاخْتَبَأَ فِي الْمَدْخَلِ، بِحَيْثُ يُمْكِنُهُ مُرَاقَبَةُ مَا يَحْدُثُ، وَحِينَ رَأَى بيتر الظَّرِبَانَ جيمي

رَاقِدًا بِلَا حِرَاكٍ، زَحَفَ خَوْفٌ عَظِيمٌ إِلَى قَلْبِهِ. هَلْ قُتِلَ جيمي؟ لَمْ يَكُنْ قَدْ فَكَّرَ لِلَحْظَةٍ فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ لِجيمي حِينَ دَبَّرَ تِلْكَ الْخُدْعَةَ. لَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بَدَأَ جيمي يُحَرِّكُ رِجْلًا ثُمَّ الْأُخْرَى، كَمَا لَوْ كَانَ يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّ أَرْجُلَهُ لَا تَزَالُ فِي مَوْضِعِهَا، ثُمَّ تَقَلَّبَ بِبُطْءٍ وَوَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَعِنْدَئِذٍ تَنَفَّسَ بيتر الصُّعَدَاءَ.

الفصل الرابع

ثَوْرَةُ الظَّرِبَانِ جيمي

حِينَ يَغْضَبُ الظَّرِبَانُ جيمي، فَلْيَأْخُذِ الْجَمِيعُ حِذْرَهُمْ! فَالْأَسْلَمُ لَكَ آنَذَاكَ، أَنْ تَتَوَارَى عَنْ نَاظِرِهِ.

كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي غَاضِبًا هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ. كَانَ قَدْ جُنَّ جُنُونُهُ، وَحِينَ يَكُونُ الظَّرِبَانُ جيمي فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ، يَحْرِصُ الْجَمِيعُ عَلَى الِابْتِعَادِ عَنْهُ. هُوَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — أَحَدُ أَكْثَرِ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةِ طِيبَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ عَادَةً؛ فَهُوَ لَا يَتَدَخَّلُ فِي شُئُونِ الْآخَرِينَ، وَإِذَا لَمْ يَتَطَفَّلْ أَحَدٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَطَفَّلُ عَلَى أَحَدٍ، لَكِنَّهُ مَا إِنْ يُسْتَفَزَّ وَيَشْعُرْ أَنَّ ظُلْمًا قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِسَ مِنْهُ!

وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ، كَانَ جيمي يَسْتَشِيطُ غَضَبًا، حِينَمَا وَقَفَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَرَاحَ يَهُزُّ جَسَدَهُ لِيَرَى إِنْ كَانَتْ كُلُّ أَعْضَائِهِ فِي أَمَاكِنِهَا. وَلَا أَرَى أَنَّ أَحَدًا يُمْكِنُهُ لَوْمُهُ فِي ذَلِكَ؛ فَالِاسْتِيقَاظُ مِنْ غَفْوَةٍ هَانِئَةٍ عَلَى دَحْرَجَةٍ وَهَزٍّ، كَادَ يَكُونُ مُمِيتًا، كَمَا حَدَثَ لِجيمي فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ الْجُنُونِيَّةِ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ الْقَدِيمِ؛ يَكْفِي لِيُجَنَّ جُنُونُ أَيِّ شَخْصٍ؛ لِذَا فَإِنَّهُ حَقًّا لَا يُلَامُ عَلَى مَشَاعِرِهِ تِلْكَ.

وَإِنَّ جيمي لَا يُمْكِنُ أَبَدًا وَصْفُهُ بِالْغَبَاءِ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ بِرْمِيلًا قَدِيمًا ظَلَّ فِي مَكَانِهِ وَقْتًا طَوِيلًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَدَحْرَجَ الْبِرْمِيلُ لِأَسْفَلِ التَّلِّ إِلَّا إِذَا دَفَعَهُ أَحَدُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي أَنَّ أَيًّا كَانَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ بِدَاخِلِ الْبِرْمِيلِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ لِإِزْعَاجِهِ. وَهَكَذَا، مَا إِنْ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَزَالُ حَيًّا سَالِمًا حَقًّا، حَتَّى نَظَرَ حَوْلَهُ لِيَرَى مَنْ ذَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ هَكَذَا.

وَكَانَ الثَّعْلَبُ قَدْ رَكَضَ لِأَسْفَلِ التَّلِّ وَرَاءَ الْبِرْمِيلِ لِيَرَى مَنْ بِدَاخِلِهِ حِينَ سَمِعَ الْأَصْوَاتَ الْغَرِيبَةَ الصَّادِرَةَ عَنْهُ، بَيْنَمَا كَانَ الْبِرْمِيلُ يَتَدَحْرَجُ مُتَوَاثِبًا إِلَى أَسْفَلَ، وَلَوْ أَنَّ ريدي عَرَفَ أَنَّ مَنْ بِدَاخِلِ الْبِرْمِيلِ هُوَ الظَّرِبَانُ جيمي لَقَنَعَ بِالْبَقَاءِ فَوْقَ التَّلِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ، كَمَا أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِأَنَّ مَنْ بِدَاخِلِ الْبِرْمِيلِ قَدْ يُمِدُّهُ بِوَجْبَةِ إِفْطَارٍ شَهِيَّةٍ. وَهَكَذَا، وَصَلَ ريدي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَهَشَّمَ فِيهِ الْبِرْمِيلُ الْقَدِيمُ مُتَقَطِّعَ الْأَنْفَاسِ مِنَ الْجَرْيِ، فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي وَقَفَ فِيهَا جيمي عَلَى قَدَمِهِ.

حِينَ يَكُونُ الظَّرِبَانُ غَاضِبًا، فَإِنَّهُ لَا يَعَضُّ أَوْ يَخْدِشُ؛ فَقَدْ زَوَّدَتْهُ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ بِكِيسٍ رَائِحَةٍ صَغِيرٍ، لَا يَضِيرُ جيمي مُطْلَقًا، وَلَكِنَّهُ يَجْعَلُ مُعْظَمَ الْكَائِنَاتِ الْأُخْرَى تَرْغَبُ فِي سَدِّ أُنُوفِهَا وَاللَّوْذِ بِالْفِرَارِ. إِنَّ جيمي لَا يَسْتَخْدِمُهُ أَبَدًا، إِلَّا عِنْدَمَا يَشْعُرُ بِالْغَضَبِ أَوِ الْخَطَرِ، وَلَكِنَّهُ حِينَ يَسْتَخْدِمُهُ، فَدَائِمًا مَا يَفِرُّ أَعْدَاؤُهُ هَارِبِينَ؛ وَلِهَذَا السَّبَبِ لَا يَخْشَى جيمي أَحَدًا، وَلِهَذَا السَّبَبِ أَيْضًا يَحْتَرِمُ الْجَمِيعُ جيمي وَحُقُوقَهُ.

وَقَدِ اسْتَخْدَمَ جيمي ذَلِكَ الْكِيسَ هَذِهِ الْمَرَّةَ دُونَ أَنْ يُضَيِّعَ وَقْتًا؛ فَقَدْ نَفَثَ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ فِي وَجْهِ الثَّعْلَبِ ريدي قَبْلَ أَنْ تَسْنَحَ الْفُرْصَةُ لِريدي لِكَيْ يَسْتَدِيرَ أَوْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ.

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي فِي حِدَّةٍ: «خُذْ هَذَا، فَلَرُبَّمَا يُعَلِّمُكَ أَلَّا تُمَارِسَ أَلَاعِيبَكَ هَذِهِ مَعَ جِيرَانِكَ الشُّرَفَاءِ!»

يَا لَهُ مِنْ مِسْكِينٍ ريدي! لَقَدْ دَخَلَ بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ فِي عَيْنَيْهِ وَآلَمَهُمَا بِشِدَّةٍ. فِي الْوَاقِعِ، لَمْ يَسْتَطِعِ الثَّعْلَبُ الرُّؤْيَةَ لِوَهْلَةٍ، بَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحَتِ الرَّائِحَةُ قَوِيَّةً جِدًّا حَتَّى إِنَّهَا أَصَابَتْهُ بِالْغَثَيَانِ؛ فَرَاحَ يَتَدَحْرَجُ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَدِ اخْتَنَقَتْ أَنْفَاسُهُ فِي صَدْرِهِ وَرَاحَ يَلْهَثُ وَيَفْرُكُ عَيْنَيْهِ، فَاكْتَفَى جيمي بِالْوُقُوفِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ، وَقَدْ خَلَتْ عَيْنَاهُ مِنْ ذَرَّةٍ مِنْ شَفَقَةٍ.

بَعْدَ ذَلِكَ، قَالَ جيمي: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ ظَنَنْتَ نَفْسَكَ ذَكِيًّا إِذْ دَحْرَجْتَنِي إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ وَأَنَا بِدَاخِلِ بِرْمِيلٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تُكْسَرَ رَقَبَتِي.»

قَالَ الثَّعْلَبُ ريدي بَاكِيًا، بَعْدَمَا تَمَكَّنَ مِنَ اسْتِرْدَادِ صَوْتِهِ: «لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّكَ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَلَمْ أَقْصِدْ دَحْرَجَتَهُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ مِنَ الْأَسَاسِ.»

هَتَفَ جيمي مُسْتَهْزِئًا؛ إِذْ لَمْ يُصَدِّقْ كَلِمَةً مِمَّا قَالَهُ ريدي: «حَقًّا!»

فَاحْتَجَّ ريدي قَائِلًا: «لَمْ أَفْعَلْ، صَدِّقْنِي لَمْ أَفْعَلْ، لَقَدِ اصْطَدَمْتُ بِالْبِرْمِيلِ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَأَنَا أُطَارِدُ الْأَرْنَبَ بيتر. لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مُطْلَقًا بِوُجُودِ أَحَدٍ دَاخِلَهُ.»

هَتَفَ الظَّرِبَانُ جيمي ثَانِيَةً: «حَقًّا!» ثُمَّ اسْتَطْرَدَ قَائِلًا: «إِذَا كُنْتَ تُطَارِدُ الْأَرْنَبَ بيتر، فَأَيْنَ هُوَ؟»

أَقَرَّ ريدي عَلَى مَضَضٍ بِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ؛ فَقَدْ كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر قَدِ اخْتَفَى، وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ مُتَّسَعًا مِنَ الْوَقْتِ لِلْوُصُولِ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. أَدَارَ جيمي عَيْنَيْهِ هُنَا وَهُنَاكَ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَيُّ أَثَرٍ لِلْأَرْنَبِ بيتر.

قَالَ جيمي: «هَأْ هَأْ» مُدِيرًا ظَهْرَهُ إِلَى الثَّعْلَبِ ريدي لِيَسِيرَ مُبْتَعِدًا فِي شُمُوخٍ وَكِبْرِيَاءَ.

الفصل الخامس

الثَّعْلَبُ ريدي يَتَسَلَّلُ هَارِبًا

التَّسَلُّلُ هَرَبًا هُوَ مُغَادَرَةُ الْمَرْءِ الْمَكَانَ خِلْسَةً مُحَاوِلًا التَّوَارِيَ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَعَادَةً مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْجَلُونَ مِنْ أَنْ يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ لِسَبَبٍ أَوْ آخَرَ. وَمَا إِنِ اسْتَعَادَ الثَّعْلَبُ ريدي الْقُدْرَةَ عَلَى الرُّؤْيَةِ بَعْدَمَا قَذَفَ الظَّرِبَانُ جيمي رَائِحَتَهُ الْكَرِيهَةَ فِي وَجْهِهِ، حَتَّى انْطَلَقَ قَاصِدًا الْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ. كَانَ يَرْغَبُ فِي الِانْفِرَادِ بِنَفْسِهِ بَعِيدًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْرِي رَافِعًا رَأْسَهُ وَذَيْلَهُ الْكَثَّ الشَّبِيهَ بِالرِّيشِ فِي فَخْرٍ كَعَادَتِهِ. كَلَّا، فَعِوَضًا عَنْ ذَلِكَ، أَحْنَى رَأْسَهُ وَتَدَلَّى ذَيْلُهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ؛ فَكَانَ صُورَةً مُجَسَّدَةً لِلْخِزْيِ؛ فَقَدْ عَلِقَتِ الرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ الَّتِي قَذَفَهَا عَلَيْهِ الظَّرِبَانُ جيمي بِفَرْوَتِهِ الْحَمْرَاءِ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْهَا، لَيْسَ قَبْلَ مُرُورِ وَقْتٍ طَوِيلٍ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ. وَأَدْرَكَ أَيْضًا أَنَّهُ أَيْنَمَا ذَهَبَ، فَسَوْفَ يَسُدُّ جِيرَانُهُ أُنُوفَهُمْ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَسَيَصِيرُ مَنْبُوذًا مِنَ الْجَمِيعِ؛ لِذَلِكَ تَسَلَّلَ هَارِبًا عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بِاتِّجَاهِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَمِنْ فَرْطِ شُعُورِهِ بِالْإِعْيَاءِ وَالْحَقَارَةِ وَالتَّعَاسَةِ لَمْ يَغْضَبْ مِنْ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي، الَّذِي كَانَ يَسْخَرُ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ نَالَ جَزَاءَهُ الْعَادِلَ.

مِسْكِينٌ ريدي! لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا عَسَاهُ يَفْعَلُ أَوْ أَيْنَ عَسَاهُ يَذْهَبُ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ إِذْ سَتَطْرُدُهُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ، فَقَدْ حَذَّرَتْهُ مِرَارًا وَتَكْرَارًا مِنَ اسْتِفْزَازِ الظَّرِبَانِ جيمي، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَنْ تُسَامِحَهُ أَبَدًا إِذَا مَا جَلَبَ تِلْكَ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَنْزِلِ. كَمَا كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَنْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ سُكَّانُ

الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارُ كُلُّهُمْ بِمَا حَدَثَ لَهُ، فَسَوْفَ يَحْرِصُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي عَلَى إِخْبَارِهِمْ. كَانَ يَعْرِفُ تَمَامًا كَيْفَ سَيُشِيرُونَ إِلَيْهِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ سُخْرِيَتِهِمْ أَبَدًا، وَشَعَرَ أَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يَمْشِيَ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ وَالذَّيْلِ ثَانِيَةً أَبَدًا. كَانَ يَتَوَقَّفُ كُلَّ بِضْعِ دَقَائِقَ وَيَتَمَرَّغُ فِي الْأَرْضِ مُحَاوِلًا التَّخَلُّصَ مِنْ تِلْكَ الرَّائِحَةِ الْبَغِيضَةِ.

وَحِينَ وَصَلَ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، أَسْرَعَ ريدي إِلَى الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ لِيَغْسِلَ عَيْنَيْهِ، وَكَانَ مِنْ حَظِّهِ التَّعِسِ أَنْ جَاءَ الْمِنْكُ بيلي فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ. لَمْ يَكُنْ بيلي بِحَاجَةٍ إِلَى إِخْبَارِهِ بِمَا حَدَثَ، فَقَدْ هَتَفَ قَائِلًا وَهُوَ يَسُدُّ أَنْفَهُ: «أُوفْ!» ثُمَّ اسْتَدَارَ وَأَسْرَعَ مُبْتَعِدًا عَنْ تِلْكَ الرَّائِحَةِ، وَحِينَ ابْتَعَدَ مَسَافَةً كَافِيَةً، تَوَقَّفَ وَأَخَذَ يَسْخَرُ مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي وَيَسْتَفِزُّهُ بِكُلِّ مَا خَطَرَ عَلَى بَالِهِ مِنْ كَلَامٍ، وَلَكِنَّ ريدي لَمْ يَعْبَأْ بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَقَدْ كَانَ تَعِيسًا إِلَى حَدٍّ أَعْجَزَهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي شِجَارٍ.

بَعْدَ أَنْ غَسَلَ وَجْهَهُ، شَعَرَ بِتَحَسُّنٍ. لَمْ يَكُنِ الْمَاءُ لِيُزِيلَ عَنْهُ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ، وَلَكِنَّهُ هَدَّأَ آلَامَ عَيْنَيْهِ. ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يُخَطِّطَ لِمَا سَيَفْعَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَكَّرَ ريدي قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمْكِنُنِي الْقِيَامُ بِهِ هُوَ الِابْتِعَادُ عَنِ الْجَمِيعِ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ مُمْكِنٍ. أَظُنُّ أَنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيَّ أَنْ أَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى الْقَدِيمِ وَأَعِيشَ هُنَاكَ بَعْضَ الْوَقْتِ.»

وَهَكَذَا، انْطَلَقَ ريدي إِلَى الْمَرْعَى الْقَدِيمِ، مُحَاوِلًا الِابْتِعَادَ عَنِ الْأَنْظَارِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي طَرِيقِهِ، تَذَكَّرَ أَنَّ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ يَعِيشُ فِي الْمَرْعَى الْقَدِيمِ. بِالطَّبْعِ، كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَقْتَرِبَ ريدي مِنْ مَنْزِلِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا مَا اشْتَمَّ هَذِهِ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ وَاكْتَشَفَ أَنَّ ريدي مَصْدَرُهَا، فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَطْرُدُهُ مِنَ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ، وَحِينَهَا أَيْنَ سَيَذْهَبُ؟ هَكَذَا، تَوَجَّهَ ريدي إِلَى أَكْثَرِ أَنْحَاءِ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ عُزْلَةً، وَانْسَلَّ إِلَى دَاخِلِ مَنْزِلٍ قَدِيمٍ كَانَ قَدْ حَفَرَهُ هُوَ وَالْجَدَّةُ ثعلبة مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، حِينَ اضْطُرَّا لِلْعَيْشِ فِي الْمَرْعَى الْقَدِيمِ عِنْدَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَكَلْبُ الصَّيْدِ باوزر يُطَارِدَانِهِمَا لِسَرِقَتِهِمَا الدَّجَاجَ. وَهُنَاكَ تَمَدَّدَ ريدي فِي بُؤْسٍ بَالِغٍ.

غَمْغَمَ ريدي قَائِلًا: «لَمْ أَكُنْ لِأَتَضَايَقَ هَكَذَا لَوْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِعْلًا، لَكِنَّنِي لَمْ أُخْطِئْ. لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ الظَّرِبَانَ جيمي دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَلَمْ أَقْصِدْ دَفْعَهُ لِيَتَدَحْرَجَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ

عَلَى أَيَّةِ حَالٍ. لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ بِرُمَّتِهِ حَادِثًا وَ...» تَوَقَّفَ ريدي وَتَسَلَّلَتْ إِلَى عَيْنَيْهِ الصَّفْرَاوَيْنِ نَظْرَةُ شَكٍّ. قَالَ بِبُطْءٍ: «تُرَى هَلْ كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَعْرِفُ بِوُجُودِ الظَّرِبَانِ جيمي دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ وَخَطَّطَ لِلْإِيقَاعِ بِي فِي تِلْكَ الْمَتَاعِبِ كُلِّهَا؟»

الفصل السادس

دُعَابَةُ الْأَرْنَبِ بيتر تَنْقَلِبُ عَلَيْهِ

طَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي يُعَاقِبُ فِيهِ الثَّعْلَبَ ريدي عَلَى دَحْرَجَتِهِ إِيَّاهُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ وَهُوَ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَبَيْنَمَا كَانَ ريدي يَتَسَلَّلُ هَارِبًا إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ لِلابْتِعَادِ عَنِ الْأَنْظَارِ، كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر مُخْتَبِئًا فِي مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي انْتَهَتْ عِنْدَهُ رِحْلَةُ الظَّرِبَانِ جيمي الْجُنُونِيَّةُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ. وَكَانَ بيتر قَدْ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ حِينَ رَأَى الظَّرِبَانَ جيمي يَقِفُ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يُصِبْهُ أَذًى مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْجُنُونِيَّةِ. وَإِذِ انْبَطَحَ بيتر عَلَى الْأَرْضِ فِي مَدْخَلِ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا يَدُورُ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ سَمَاعُ كُلِّ مَا يُقَالُ.

أَطْلَقَ بيتر ضَحْكَةً مَكْتُومَةً حِينَ رَأَى الثَّعْلَبَ ريدي يَصْعَدُ التَّلَّ وَكَادَتْ عَيْنَاهُ تَخْرُجَانِ مِنْ مَحْجِرَيْهِمَا مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ وَهُوَ يَتَرَقَّبُ مَا سَيَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ. كَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي سَيَلْقَى مَا لَا يُرْضِيهِ، وَسَرَّهُ ذَلِكَ. بِالطَّبْعِ، كَانَ ذَلِكَ سُلُوكًا مَعِيبًا مِنْ بيتر، وَهُوَ كَانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ تَمَامًا فِي أَعْمَاقِهِ؛ لَكِنَّ الثَّعْلَبَ ريدي كَانَ يُطَارِدُهُ كَثِيرًا، وَكَثِيرًا مَا أَفْزَعَهُ، حَتَّى إِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْحِينِ شَعَرَ بِأَنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنْهُ؛ لِذَلِكَ رَاحَ بيتر يَضْحَكُ فِي سِرِّهِ مُتَرَقِّبًا مَا سَيَحْدُثُ. وَفَجْأَةً، انْقَطَعَتْ ضَحْكَاتُهُ وَصَاحَ: «أَوَّاهُ!» فَقَدْ شَعَرَ بِأَلَمٍ حَادٍّ كَمَا لَوْ أَنَّ إِبْرَةً سَاخِنَةً غُرِسَتْ فِيهِ؛ مِمَّا جَعَلَهُ يَقْفِزُ مِنْ مَكَانِهِ فِي الْمَدْخَلِ، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَبَدًا أَنْ يَظْهَرَ بِالْخَارِجِ؛ لِأَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي وَالظَّرِبَانَ جيمي سُرْعَانَ مَا سَيَشُكَّانِ فِي أَنَّ لَهُ عَلَاقَةً بِرِحْلَةِ جيمي الْمُرَوِّعَةِ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ وَهُوَ

دَاخِلَ الْبَرْمِيلِ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَظْهَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُمْكِنًا أَبَدًا!

كُلُّ مَا كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ الْقِيَامُ بِهِ هُوَ أَنْ رَاحَ يَرْكُلُ وَيَتَلَوَّى وَيَتَلَفَّتُ خَلْفَهُ لِتَبَيُّنِ مَا يَحْدُثُ، وَسُرْعَانَ مَا عَرَفَ. وَبَيْنَمَا هُوَ يَنْظُرُ مَا يَحْدُثُ، شَعَرَ بِأَلَمٍ حَادٍّ آخَرَ؛ مِمَّا دَفَعَهُ إِلَى الصُّرَاخِ مَرَّةً ثَانِيَةً: «أَوَّاهُ!» وَجَعَلَهُ الْأَلَمُ يَرْكُلُ بِأَقْدَامِهِ أَشَدَّ مِنْ ذِي قَبْلُ. كَانَ ثَمَّةَ حَشَرَتَانِ غَاضِبَتَانِ لِلْغَايَةِ تَسْتَعِدَّانِ لِلَدْغِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَالْمَزِيدُ مِنْهَا آتٍ. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْحَشَرَاتُ سِوَى الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى عَائِلَةِ الدَّبَابِيرِ، وَتَحْمِلُ رِمَاحًا صَغِيرَةً حَادَّةً جِدًّا فِي أَذْيَالِهَا. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ مَنْزِلُ الْخُلْدِ جوني قَدْ هُجِرَ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ جِدًّا، حَتَّى قَرَّرَتِ الدَّبَابِيرُ الصَّفْرَاءُ أَنْ تَبْدَأَ فِي بِنَاءِ مَسَاكِنِهَا دَاخِلَ الرَّدْهَةِ بِمَا أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ آخَرَ يَسْتَخْدِمُ الْبَيْتَ، وَقَدْ فَعَلَتْ.

مِسْكِينٌ بيتر! مَاذَا كَانَ عَسَاهُ أَنْ يَفْعَلَ؟ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ عَلَى الْخُرُوجِ، وَكَذَا لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ فِي مَكَانِهِ. وَأَيًّا كَانَ مَا سَيَفْعَلُهُ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُسْرِعَ؛ إِذْ بَدَا لَهُ أَنَّ جَيْشًا مُنَظَّمًا مِنَ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ كَانَ مُتَوَجِّهًا صَوْبَهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ الرِّمَاحُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَحْمِلُهَا فِي أَذْيَالِهَا أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَرَفَهَا إِيلَامًا. عِنْدَئِذٍ كَانَ قَدْ فَقَدَ كُلَّ اهْتِمَامٍ بِمَعْرِفَةِ مَا يَحْدُثُ بِالْخَارِجِ؛ فَقَدْ كَانَ مَا يَحْدُثُ عِنْدَهُ بِالدَّاخِلِ كَافِيًا، بَلْ كَثِيرًا جِدًّا فِي الْوَاقِعِ. هُنَالِكَ تَذَكَّرَ أَنَّ جوني يَحْفِرُ بَيْتَهُ فِي الْأَرْضِ عَلَى عُمْقٍ كَبِيرٍ، فَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ الرَّدْهَةِ الطَّوِيلَةِ، وَوَجَدَ الظَّلَامَ دَامِسًا بِالْأَسْفَلِ. كَانَ قَدْ فَكَّرَ فِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُحَارِبِينَ الصِّغَارَ الْغَاضِبِينَ رُبَّمَا لَا يَتَّبِعُونَهُ إِذَا مَا نَزَلَ إِلَى أَسْفَلَ، وَكَانَ الْأَمْرُ يَسْتَحِقُّ عَنَاءَ الْمُحَاوَلَةِ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ.

وَهَكَذَا، هَبَّ بيتر عَلَى قَدَمَيْهِ بِسُرْعَةٍ وَهَرْوَلَ نَازِلًا الرَّدْهَةَ الطَّوِيلَةَ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَجْرِي، رَاحَ يَصْرُخُ: «أَوَّاهُ! أَوَّاهُ! آهْ! آآهْ!» لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الرِّمَاحُ الصَّغِيرَةُ نَشِطَةً جِدًّا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ سَبِيلٍ لِمُقَاوَمَتِهَا. وَفِي نِهَايَةِ الرَّدْهَةِ الطَّوِيلَةِ، كَانَ ثَمَّةَ حُجْرَةٌ صَغِيرَةٌ آمِنَةٌ، مُظْلِمَةٌ جِدًّا، لَكِنَّهَا مُعْتَدِلَةُ الْبُرُودَةِ وَمُرِيحَةٌ. وَكَمَا تَمَنَّى تَمَامًا؛ لَمْ تَتْبَعْهُ الدَّبَابِيرُ إِلَى هُنَاكَ؛ فَقَدْ طَرَدَتْهُ مِنْ مَنْزِلِهَا الَّذِي كَانَ قَائِمًا بِجِوَارِ الْمَدْخَلِ مُبَاشَرَةً، وَاكْتَفَتْ بِذَلِكَ.

وَلَكِنْ يَا لَهَا مِنْ وَرْطَةٍ تِلْكَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا بيتر! يَا لَهُ مِنْ مَأْزِقٍ مُخِيفٍ! كَانَ يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ وَالْوَخْزِ فِي كُلِّ رُقْعَةٍ مِنْ جَسَدِهِ. يَا إِلَهِي، كَمْ كَانَ يَتَأَلَّمُ! عِلَاوَةً عَلَى أَنَّهُ لِكَيْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَنْزِلِ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ بِعُشِّ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ مَرَّةً أُخْرَى.

قَالَ بيتر مُتَأَوِّهًا، مُحَاوِلًا عَبَثًا أَنْ يَجِدَ لِنَفْسِهِ وَضْعًا مُرِيحًا: «يَا إِلَهِي، لَيْتَنِي لَمْ أُفَكِّرْ قَطُّ فِي هَذِهِ الْخُدْعَةِ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي قَدْ نِلْتُ جَزَائِي.»

أَرَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ جَزَاءَهُ حَقًّا. أَلَا تُوَافِقُونَنِي الرَّأْيَ؟

الفصل السابع

ظُنُونُ سامي

طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي كَائِنٌ غَرِيبُ الْأَطْوَارِ؛ فَمَعَ أَنَّهُ وَغْدٌ مُولَعٌ بِإِثَارَةِ الْمَتَاعِبِ لِجِيرَانِهِ، فَإِنَّهُ مُسْتَعِدٌّ دَائِمًا لِلدِّفَاعِ عَنْهُمْ حِينَ يُوقِعُهُمُ الْآخَرُونَ فِي الْمَتَاعِبِ؛ فَكَثِيرًا مَا كَانَ يُنْذِرُهُمْ بِالْخَطَرِ، وَهَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ اسْتِعْدَادِهِمْ لِلتَّغَاضِي عَنْ عُيُوبِهِ؛ فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ أَفْضَلَ مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي مِنْ عِدَّةِ نَوَاحٍ، فَإِنَّهُ مُولَعٌ بِإِحْبَاطِ خُطَطِ ريدي، وَعَادَةً مَا يَبْتَهِجُ حِينَ يَقَعُ ريدي فِي الْمَتَاعِبِ. وَبِالطَّبْعِ، نَظَرًا لِوُجُودِهِ فِي قَلْبِ الْحَدَثِ، رَأَى سامي كُلَّ مَا حَدَثَ حِينَ اصْطَدَمَ ريدي بِالْبِرْمِيلِ عَلَى قِمَّةِ التَّلِّ وَدَفَعَهُ لِيَتَدَحْرَجَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ، وَقَدْ فُوجِئَ بِقَدْرِ مَا فُوجِئَ ريدي بِأَنَّهُ ثَمَّةَ أَحَدٌ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَتَبِعَ ريدي لِيَعْرِفَ مَنْ هُوَ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ شَاهَدَ بِالطَّبْعِ مَا حَدَثَ لِريدي.

وَعِوَضًا عَنِ الشُّعُورِ بِالْأَسَفِ عَلَى ريدي، لَمْ يُخْفِ سامي فَرْحَتَهُ، وَيَبْدُو أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُشَارِكُونَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يَرَوُا الْآخَرِينَ الَّذِينَ يُعْتَبَرُونَ شَدِيدِي الذَّكَاءِ وَاقِعِينَ فِي الْمَتَاعِبِ. وَهَكَذَا، ضَحِكَ سامي وَسَخِرَ مِنْ ريدي الْمِسْكِينِ. أَوَّلًا كَانَ الْأَمْرُ مُثِيرًا جِدًّا، وَسامي يَعْشَقُ الْإِثَارَةَ، وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهَا سَتَكُونُ قِصَّةً رَائِعَةً لِيَحْكِيَهَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يُحِبُّ نَقْلَ الْقِصَصِ أَكْثَرَ مِنْ سامي. وَقَدْ رَأَى سامي الثَّعْلَبَ ريدي وَهُوَ يَتَسَلَّلُ هَارِبًا إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، بَيْنَمَا سَارَ الظَّرِبَانُ جيمي مُبْتَعِدًا عَلَى مَهَلٍ فِي كِبْرِيَاءَ. حِينَئِذٍ طَارَ سامي عَائِدًا إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ لِنَشْرِ الْخَبَرِ بَيْنَ سُكَّانِهِ الصِّغَارِ، وَلَمْ يَتَذَكَّرْ سامي الْأَرْنَبَ بيتر إِلَّا حِينَ وَصَلَ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَهُنَا بَدَلًا مِنْ أَنْ يَطِيرَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبُسْتَانِ لِيُخْبِرَ الْجَمِيعَ بِمَا حَدَثَ لِلظَّرِبَانِ جيمي وَالثَّعْلَبِ ريدي، وَجَدَ بُقْعَةً مُرِيحَةً فِي

شَجَرَةِ تُفَّاحٍ عَجُوزٍ وَقَفَ عَلَيْهَا صَامِتًا عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي مُسْتَغْرِقًا فِي تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ؛ إِذْ كَانَ قَدْ بَدَأَ فِي التَّسَاؤُلِ فَجْأَةً، فَقَدْ طَرَأَ عَلَى رَأْسِهِ الصَّغِيرِ الْحَادِّ الذَّكَاءِ أَنَّ اخْتِفَاءَ الْأَرْنَبِ بيتر الْمُفَاجِئَ كَانَ غَرِيبًا جِدًّا.

فَكَّرَ سامي قَائِلًا: «بِالطَّبْعِ يَظُنُّ الظَّرِبَانُ جيمي أَنَّ ريدي دَحْرَجَ الْبِرْمِيلَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ مُتَعَمِّدًا، وَلَا عَجَبَ فِي ظَنِّهِ هَذَا، لَكِنَّنِي شَاهَدْتُ الْأَمْرَ بِرُمَّتِهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ صُدْفَةً مِنْ نَاحِيَةِ ريدي. لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ الظَّرِبَانَ جيمي كَانَ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَعْرِفَ ريدي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَى هُنَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَتَيْتُ أَنَا. لَكِنْ، رُبَّمَا كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَعْرِفُ؛ وَإِلَّا فَلِمَ جَرَى الْأَرْنَبُ بيتر بِحَيْثُ يَقْفِزُ فَوْقَ الْبِرْمِيلِ فِي حِينِ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَمُرَّ مِنْ جَانِبِهِ؟

طَبْعًا قَدْ يَكُونُ الْأَرْنَبُ بيتر فَكَّرَ أَنَّهُ إِذَا مَا جَعَلَ الثَّعْلَبَ ريدي يَرْتَطِمُ بِالْبِرْمِيلِ، فَإِنَّ هَذَا سَيُوقِفُ ريدي لِمُدَّةٍ كَافِيَةٍ تُتِيحُ لِبيتر الْهُرُوبَ، وَهَذِهِ فِكْرَةٌ ذَكِيَّةٌ جِدًّا مِنْ بيتر، كَمَا أَنَّهَا تَلِيقُ بِهِ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ. لَكِنِّي لِسَبَبٍ مَا يُرَاوِدُنِي شُعُورٌ بِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّ الظَّرِبَانَ جيمي كَانَ غَافِيًا دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَأَنَّ شَيْئًا مَا سَيَحْدُثُ حَتْمًا إِذَا مَا أَزْعَجَهُ أَحَدُهُمْ. كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي الْأَمْرِ أَكْثَرَ، زَادَ يَقِينِي مِنْ أَنَّ بيتر كَانَ يَعْرِفُ فِعْلًا، وَأَنَّهُ خَطَّطَ لِلْأَمْرِ بِرُمَّتِهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَسَتَكُونُ هَذِهِ هِي أَذْكَى خُدْعَةٍ سَمِعْتُ بِهَا فِي حَيَاتِي. لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ بيتر قَادِرٌ عَلَى تَدْبِيرِ مِثْلِ هَذِهِ الْخُدْعَةِ، لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ صَعْبًا عَلَى الظَّرِبَانِ جيمي، لَكِنَّهُ خَلَّصَنَا مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ؛ فَهُوَ لَنْ يَجْرُؤَ عَلَى الظُّهُورِ فِي هَذِهِ الْأَنْحَاءِ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ بيتر سَيَتَخَلَّصُ مِنْ أَحَدِ مَصَادِرِ قَلَقِهِ. آهْ! هَا هُوَ الظَّرِبَانُ جيمي، سَوْفَ أُوَجِّهُ لَهُ بِضْعَةَ أَسْئِلَةٍ.»

جَاءَ جيمي مُتَهَادِيًا بِطَرِيقَتِهِ الْكَسُولَةِ الْمُعْتَادَةِ. كَانَ قَدِ اسْتَعَادَ كَامِلَ طَبِيعَتِهِ الطَّيِّبَةِ، وَكَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ قَدْ أَوْقَعَ بِالثَّعْلَبِ ريدي انْتِقَامًا عَادِلًا. وَنَظَرًا لِأَنَّهُ لَمْ يُصَبْ بِسُوءٍ نَتِيجَةَ تَدَحْرُجِهِ بِعُنْفٍ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ وَهُوَ دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، فَقَدْ نَسِيَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ فَقَدَ أَعْصَابَهُ.

صَاحَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي: «مَرْحَبًا يَا جيمي، هَلْ رَأَيْتَ الْأَرْنَبَ بيتر هَذَا الصَّبَاحَ؟»

فَنَظَرَ جيمي إِلَى أَعْلَى وَابْتَسَمَ: «نَعَمْ؛ رَأَيْتُهُ هُنَا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ. لِمَاذَا؟»

فَقَالَ سامي فِي إِصْرَارٍ: «هَلْ رَآكَ وَأَنْتَ تَدْخُلُ فِي الْبِرْمِيلِ؟»

فَأَقَرَّ جيمي قَائِلًا: «لَا أَعْرِفُ، رُبَّمَا. مَا الَّذِي يَدُورُ فِي رَأْسِكَ يَا سامي؟»

فَأَجَابَ سامي قَائِلًا: «لَا شَيْءَ، كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي كَانَ يُطَارِدُهُ حِينَ اصْطَدَمَ بِالْبِرْمِيلِ وَدَفَعَهُ لِيَتَدَحْرَجَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ.»

أَصَاخَ جيمي لِكَلَامِهِ، وَهَتَفَ: «إِذَنْ ريدي لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا؟!»

فَأَجَابَ سامي قَائِلًا: «نَعَمْ، لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا، إِنَّنِي مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّكَ بِدَاخِلِ الْبِرْمِيلِ. لَكِنْ مَاذَا عَنِ الْأَرْنَبِ بيتر؟ إِنَّنِي لَأَتَسَاءَلُ وَتُرَاوِدُنِي أَيْضًا بَعْضُ الظُّنُونِ.»

الفصل الثامن

جيمي يَبْحَثُ عَنْ بيتر

أَخَذَ الظَّرِبَانُ جيمي يُحَمْلِقُ فِي وَجْهِ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي، وَسامي يُحَمْلِقُ فِي وَجْهِ جيمي، ثُمَّ أَغْمَضَ سامي إِحْدَى عَيْنَيْهِ بِبُطْءٍ وَفَتَحَهَا مَرَّةً أُخْرَى بِنَفْسِ الْبُطْءِ؛ كَانَ يَغْمِزُ لِجيمي.

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي: «هَلْ تَقْصِدُ أَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر كَانَ يَعْرِفُ أَنَّنِي دَاخِلَ الْبِرْمِيلِ، وَأَنَّهُ قَفَزَ مِنْ فَوْقِهِ حَتَّى يَجْرِيَ الثَّعْلَبُ ريدي بِاتِّجَاهِهِ مُبَاشَرَةً وَيَصْطَدِمَ بِهِ؟ هَلْ هَذَا مَا تَظُنُّهُ؟»

لَمْ يَنْبِسْ سامي بِبِنْتِ شَفَةٍ، لَكِنَّهُ غَمَزَ مَرَّةً أُخْرَى، فَابْتَسَمَ جيمي، ثُمَّ بَدَا أَنَّهُ يُفَكِّرُ بِعُمْقٍ. وَقَالَ بِبُطْءٍ: «تُرَى هَلْ فَعَلَ بيتر ذَلِكَ لِكَسْبِ وَقْتٍ لِلْهُرُوبِ مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي؟»

فَقَالَ سامي مُكَرِّرًا: «يَا تُرَى!»

وَاصَلَ جيمي حَدِيثَهُ قَائِلًا: «أَمْ تُرَاهُ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَطْ لِلْإِيقَاعِ بِريدي فِي الْمَتَاعِبِ؟»

فَقَالَ سامي مُكَرِّرًا: «يَا تُرَى!»

اسْتَأْنَفَ جيمي قَائِلًا، بَيْنَمَا أَخَذَ يَحُكُّ رَأْسَهُ مُفَكِّرًا: «أَمْ يَا تُرَى كَانَتْ تِلْكَ خُدْعَةً مِنْهُ، خُدْعَةً مُزْدَوِجَةً لِي وَلِلثَّعْلَبِ ريدي فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ!»

قَالَ سامي مَرَّةً أُخْرَى: «يَا تُرَى!» ثُمَّ انْفَجَرَ ضَاحِكًا.

جيمي يَتَمَتَّعُ بِذَكَاءٍ حَادٍّ؛ لِذَا قَالَ لِسامي مُومِئًا بِرَأْسِهِ: «هَذَا ظَنُّكَ إِذَنْ؟ حَسَنًا؛ لَنْ أُفَاجَأَ مُطْلَقًا إِذَا مَا اتَّضَحَ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَذْهَبُ لِلْبَحْثِ عَنْ بيتر، أَظُنُّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى دَرْسٍ؛ فَالْمُزَاحُ الَّذِي يُعَرِّضُ الْآخَرِينَ لِلْخَطَرِ أَوِ الْمُعَانَاةِ لَا يُمْكِنُ اغْتِفَارُهُ. كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَنْكَسِرَ رَقَبَتِي فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْجُنُونِيَّةِ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّنِي تَعَرَّضْتُ لِمُعَانَاةٍ بَالِغَةٍ بِالتَّأْكِيدِ؛ فَقَدْ شَعَرْتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِدَاخِلِي تَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ

وَاخْتَلَطَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَحَتَّى الْآنَ، لَا تَزَالُ مَعِدَتِي مُضْطَرِبَةً بَعْضَ الشَّيْءِ، كَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِي وَضْعِهَا السَّلِيمِ. بِالْمُنَاسَبَةِ، أَيْنَ ذَهَبَ بيتر بَعْدَ أَنْ قَفَزَ فَوْقَ الْبِرْمِيلِ؟»

هَزَّ سامي رَأْسَهُ، وَأَقَرَّ قَائِلًا: «لَا أَعْلَمُ. كَانَ الْأَمْرُ مُثِيرًا جِدًّا حِينَ بَدَأَ الْبِرْمِيلُ فِي التَّدَحْرُجِ، وَعَلِمْنَا مِنَ الْأَصْوَاتِ الصَّادِرَةِ مِنْهُ أَنَّ ثَمَّةَ أَحَدًا بِدَاخِلِهِ، وَأَظُنُّ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي نَسِيَ أَمْرَ بيتر تَمَامًا، وَأَعْتَرِفُ أَنَّنِي أَيْضًا نَسِيتُ أَمْرَهُ. وَحِينَ تَهَشَّمَ الْبِرْمِيلُ عِنْدَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَسْفَلَ التَّلِّ، وَتَوَاجَهْتَ أَنْتَ وَريدي، أَصْبَحَ الْأَمْرُ أَكْثَرَ إِثَارَةً. وَحِينَ انْتَهَى الْأَمْرُ، بَحَثْتُ عَنْ بيتر، لَكِنَّهُ كَانَ قَدِ اخْتَفَى تَمَامًا عَنِ الْأَنْظَارِ. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتٌ كَافٍ لِلْوُصُولِ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. أَنَا عَنْ نَفْسِي أَوَدُّ حَقًّا أَنْ أَعْرِفَ أَيْنَ ذَهَبَ.»

اسْتَدَارَ الظَّرِبَانُ جيمي وَنَظَرَ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ، ثُمَّ انْطَلَقَ عَائِدًا بِاتِّجَاهِ الْبِرْمِيلِ الْمُهَشَّمِ بِطَرِيقَتِهِ الْبَطِيئَةِ الْمُعْتَادَةِ.

فَسَأَلَهُ سامي: «إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟»

أَجَابَ جيمي قَائِلًا: «سَأَذْهَبُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْأَرْنَبِ بيتر. أُرِيدُ أَنْ أَطْرَحَ عَلَيْهِ بِضْعَةَ أَسْئِلَةٍ.»

سَارَ الظَّرِبَانُ جيمي. فِي الْبِدَايَةِ، كَانَ غَاضِبًا جِدًّا حِينَ فَكَّرَ فِيمَا فَعَلَهُ بيتر، وَقَرَّرَ أَنَّ بيتر يَنْبَغِي أَنْ يُلَقَّنَ دَرْسًا لَا يَنْسَاهُ، لَكِنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ يَسِيرُ مُتَهَادِيًا، أَدْرَكَ الْجَانِبَ الْمُضْحِكَ فِي الْأَمْرِ بِرُمَّتِهِ؛ فَالظَّرِبَانُ جيمي يَتَمَتَّعُ بِحِسِّ دُعَابَةٍ رَائِعٍ، وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى سَفْحِ التَّلِّ، كَانَ غَضَبُهُ قَدْ ذَهَبَ عَنْهُ تَمَامًا، وَرَاحَ يَضْحَكُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ.

وَفَكَّرَ جيمي قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «يُؤْسِفُنِي أَنْ أَكُونَ ظَلَمْتُ الثَّعْلَبَ ريدي، لَكِنَّهُ يُسَبِّبُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَتَاعِبِ لِلْآخَرِينَ، حَتَّى إِنَّنِي أَظُنُّ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرِي سَيَشْعُرُ بِالْأَسَفِ مِنْ أَجْلِهِ، وَهُوَ فِي الْغَالِبِ لَنْ يُضَايِقَ أَحَدًا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْوَقْتِ. لَا بُدَّ أَنْ يُعَاقَبَ بيتر، لَكِنَّنِي — لِسَبَبٍ مَا — لَا أَشْعُرُ بِرَغْبَةٍ مُلِحَّةٍ فِي مُعَاقَبَتِهِ كَمَا كُنْتُ أَشْعُرُ مِنْ قَبْلُ. سَأُخِيفُهُ قَلِيلًا فَقَطْ، وَأَكْتَفِي بِهَذِهِ الْعُقُوبَةِ لِذَلِكَ الْوَغْدِ. وَالْآنَ، يَا تُرَى أَيْنَ عَسَاهُ يَكُونُ؟ أَظُنُّهُ لَيْسَ بَعِيدًا جِدًّا عَنْ هُنَا. حَسَنًا، أَظُنُّنِي أَذْكُرُ أَنَّهُ ثَمَّةَ مَنْزِلٌ قَدِيمٌ لِلْخُلْدِ جوني لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا عَنْ هُنَا، سَوْفَ أُلْقِي نَظْرَةً دَاخِلَهُ.»

الفصل التاسع

زِيَارَةُ جيمي لِمَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ

كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي مُبْتَسِمًا بَيْنَمَا سَارَ الْهُوَيْنَى تِجَاهَ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ بِالْقُرْبِ مِنْ سَفْحِ التَّلِّ. لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَحَدٌ بِالْجِوَارِ لِيَرَاهُ فَاتَّسَعَتِ ابْتِسَامَتُهُ، فَكَمَا تَعْرِفُونَ كَانَتِ الرَّائِحَةُ الَّتِي قَذَفَهَا جيمي عَلَى الثَّعْلَبِ ريدي قَبْلَ قَلِيلٍ قَوِيَّةً جِدًّا جِدًّا فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَكَانَ جيمي يَعْرِفُ أَنَّهُ إِلَى أَنْ تَزُولَ الرَّائِحَةُ تَمَامًا، لَنْ يَقْتَرِبَ أَحَدٌ مِنَ الْمَكَانِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يُطِيقُ هَذِهِ الرَّائِحَةَ. بِالنِّسْبَةِ لِجيمي نَفْسِهِ، لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الرَّائِحَةُ كَرِيهَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ سَبَبَ بُغْضِ الْجَمِيعِ لَهَا، وَقَدْ حَيَّرَهُ ذَلِكَ الْأَمْرُ كَثِيرًا وَسَرَّهُ؛ لِأَنَّهُ بِفَضْلِهِ كَانَ الْجَمِيعُ يُعَامِلُونَهُ بِاحْتِرَامٍ وَيَبْذُلُونَ قُصَارَى جُهْدِهِمْ لِتَجَنُّبِ التَّشَاجُرِ مَعَهُ.

قَالَ لِنَفْسِهِ: «أَظُنُّهُ خَيْرًا أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ لَمْ تَخْلُقْنَا جَمِيعًا مُتَشَابِهِينَ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنَّ أُنُوفَهُمْ بِهَا خَطْبٌ مَا، وَأَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَنْفِي بِهِ خَطْبٌ مَا، لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ صَحِيحًا مُطْلَقًا. آهْ! هَا هُوَ مَنْزِلُ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمُ أَمَامِي مُبَاشَرَةً، وَالْآنَ سَنَرَى مَا هُنَالِكَ.»

مَشَى جيمي بِهُدُوءٍ حِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ. إِذَا كَانَ بيتر فِي قَاعِ الْمَنْزِلِ، فَلَنْ تَهُمَّ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَقْتَرِبُ بِهَا جيمي، وَلَكِنْ إِذَا مَا تَصَادَفَ وُجُودُ بيتر فِي الْمَدْخَلِ، فَرُبَّمَا يَعْتَزِمُ الرَّكْضَ إِذَا مَا سَمِعَ خُطُوَاتِ أَقْدَامٍ، خَاصَّةً إِذَا لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْخُطُوَاتُ ثَقِيلَةً بِمَا يَكْفِي لِتَكُونَ خُطُوَاتِ ريدي أَوِ الْجَدَّةِ ثعلبة أَوِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ. لَكِنَّ جيمي لَمْ يَكُنْ يَنْوِي أَنْ يُعْطِيَ بيتر فُرْصَةً لِمِثْلِ هَذَا التَّصَرُّفِ، فَإِذَا خَرَجَ بيتر فِي أَيِّ لَحْظَةٍ مِنْ هَذَا الْمَنْزِلِ،

فَسَتَحْمِلُهُ سِيقَانُهُ الطَّوِيلَةُ بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِ يَدِ جيمي، وَجيمي يَعْرِفُ ذَلِكَ. وَإِذَا أَقْدَمَ جيمي عَلَى إِخَافَةِ بيتر كَمَا اعْتَزَمَ، فَعَلَيْهِ أَوَّلًا أَنْ يَحْبِسَهُ فِي مَكَانٍ لَا يَسْتَطِيعُ الْفِرَارَ مِنْهُ. وَهَكَذَا، سَارَ جيمي بِهُدُوءٍ تَامٍّ وَاقْتَرَبَ مِنَ الْمَنْزِلِ عَلَى نَحْوٍ يُبْقِيهِ بَعِيدًا عَنْ أَنْظَارِ بيتر، إِذَا كَانَ بيتر مُسْتَلْقِيًا عَلَى الْأَرْضِ لِمُرَاقَبَةِ الْمَدْخَلِ.

وَأَخِيرًا وَصَلَ إِلَى مَوْضِعٍ يُمْكِنُهُ الْوُصُولُ مِنْهُ إِلَى عَتَبَةِ الْبَابِ بِقَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ. انْتَظَرَ بِضْعَ دَقَائِقَ وَأَمَالَ رَأْسَهُ جَانِبًا مُصِيخًا السَّمْعَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ صَوْتٌ يُخْبِرُهُ إِنْ كَانَ بيتر هُنَاكَ أَمْ لَا. هُنَا، قَفَزَ جيمي بِخِفَّةٍ إِلَى عَتَبَةِ الْبَابِ وَأَلْقَى نَظْرَةً عَلَى مَدْخَلِ الْمَنْزِلِ، فَلَمْ يَجِدْ أَثَرًا لِبيتر.

فَكَّرَ جيمي قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «إِذَا كَانَ بيتر هُنَا، فَهُوَ مُخْتَبِئٌ عَلَى عُمْقٍ كَبِيرٍ. تُرَى هَلْ هُوَ هُنَا فِعْلًا؟ أَظُنُّنِي سَأُلْقِي نَظْرَةً حَوْلَ الْمَنْزِلِ قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَهُ.»

كَانَتْ عَتَبَةُ الْمَنْزِلِ رَمْلِيَّةً، كَمَا هِيَ حَالُ أَعْتَابِ بُيُوتِ جوني دَائِمًا. ضَحِكَ جيمي فِي سِرِّهِ مِنْ فَوْرِهِ تَقْرِيبًا؛ فَقَدْ رَأَى آثَارَ أَقْدَامِ بيتر، وَكَانَتْ مُتَّجِهَةً إِلَى دَاخِلِ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ مُبَاشَرَةً. دَقَّقَ جيمي النَّظَرَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَيَّةِ آثَارِ أَقْدَامٍ فِي الِاتِّجَاهِ الْمُعَاكِسِ، وَهُنَا ضَحِكَ جيمي مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ مُتَمْتِمًا: «ذَاكَ الْوَغْدُ هُنَا فِعْلًا، لَقَدِ اخْتَبَأَ هُنَا وَرَاقَبَ كُلَّ مَا حَدَثَ، ثُمَّ قَرَّرَ التَّوَارِيَ وَالِانْتِظَارَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ خُلُوِّ الطَّرِيقِ وَأَنَّ أَحَدًا لَنْ يَرَاهُ.» كَانَ جيمي مُصِيبًا فِي بَعْضِ مَا قَالَهُ، وَمُخْطِئًا فِي بَعْضِهِ، كَمَا نَعْلَمُ.

حَدَّقَ جيمي النَّظَرَ فِي الْمَدْخَلِ الطَّوِيلِ الْمُظْلِمِ لِلَحْظَةٍ، ثُمَّ اتَّخَذَ قَرَارَهُ. ضَحِكَ جيمي فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: «سَوْفَ أَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلَ لِزِيَارَةِ بيتر، وَلَنْ أَعْبَأَ بِطَرْقِ الْبَابِ.» ثُمَّ أَطَلَّ بِرَأْسِهِ دَاخِلَ الْمَدْخَلِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ خُطْوَةً أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ. أَجَلْ؛ كَانَ هَذَا أَبْعَدَ مَكَانٍ اسْتَطَاعَ جيمي الْوُصُولَ إِلَيْهِ، فَمَا كَادَ يَدْخُلُ مَنْزِلَ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمَ، حَتَّى قَابَلَ الْكَثِيرَ مِنْ تِلْكَ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ، وَكَانَ مِزَاجُهَا مُتَعَكِّرًا لِلْغَايَةِ.

الظَّرِبَانُ جيمي يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ وَالرِّمَاحِ الصَّغِيرَةِ الْحَادَّةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا فِي أَذْيَالِهَا، وَهُوَ يُكِنُّ لَهَا كُلَّ الِاحْتِرَامِ؛ فَتَرَاجَعَ جيمي مُسْرِعًا، بَلْ هَرْوَلَ مُبْتَعِدًا عَنِ الْمَنْزِلِ تَمَامًا حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى مَسَافَةٍ آمِنَةٍ مِنْهُ، ثُمَّ جَلَسَ يُفَكِّرُ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ، بَدَأَ يَضْحَكُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «الْآنَ أَدْرَكْتُ مَا حَدَثَ. لَقَدْ قَفَزَ بيتر فِي مَدْخَلِ الْمَنْزِلِ، فَانْطَلَقَتْ

هَذِهِ الدَّبَابِيرُ الصَّفْرَاءُ فِي إِثْرِهِ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ، وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلِ خَوْفًا مِنِّي وَمِنَ الثَّعْلَبِ ريدي، وَهَكَذَا نَزَلَ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمَةِ، وَهُوَ فِيهَا الْآنَ يَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ كَيْفَ سَيُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ دُونَ أَنْ يُلْدَغَ. أَظُنُّنِي لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى تَخْوِيفِ بيتر لِيَدْفَعَ ثَمَنَ خُدْعَتِهِ تِلْكَ، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ نَالَ جَزَاءَهُ بِالْفِعْلِ.»

الفصل العاشر

مِحْنَةُ الأَرْنَبِ بيتر

لَمْ يَأْسَفْ أَحَدٌ عَلَى خِدَاعِ الْآخَرِينَ مِثْلَمَا فَعَلَ بيتر آنَذَاكَ، لَكِنْ أَخْشَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ آسِفًا لِلْأَسْبَابِ الصَّحِيحَةِ؛ فَبيتر لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالْأَسَفِ بِسَبَبِ مَا حَدَثَ لِجيمي وَريدي، وَإِنَّمَا بِسَبَبِ مَا حَدَثَ لَهُ هُوَ؛ فَقَدْ كَانَ جَالِسًا فِي حُجْرَةِ نَوْمِ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ، يَشْعُرُ بِالْوَخْزِ وَالْأَلَمِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ جِسْمِهِ بِسَبَبِ الرِّمَاحِ الصَّغِيرَةِ الْحَادَّةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا الدَّبَابِيرُ الصَّفْرَاءُ الَّتِي أَتَتْ بِهِ إِلَى هَذِهِ الْحُجْرَةِ السُّفْلِيَّةِ قَبْلَ أَنْ تُتَاحَ لَهُ فُرْصَةُ رُؤْيَةِ مَا حَدَثَ لِلثَّعْلَبِ ريدي. كَانَ ذَلِكَ سَيِّئًا بِمَا يَكْفِي، لَكِنَّ مَا أَقْلَقَ بيتر أَكْثَرَ كَانَ فِكْرَةَ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْخُرُوجِ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ مُوَاجَهَةِ تِلْكَ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ السَّرِيعَةِ الْغَضَبِ، وَقَدْ تَمَنَّى بيتر مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ بِوُجُودِ عُشِّ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ فِي مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ فِي الِاخْتِبَاءِ فِيهِ.

لَكِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمْنِيَّاتِ مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ الْعَدِيمَةِ الْفَائِدَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ؛ فَهِيَ لَمْ تَكُنْ لِتُسَاعِدَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. كَانَ يَشْعُرُ بِآلَامٍ وَأَوْجَاعٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَتَخَيَّلُ كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْتَمِلَ وَلَوْ لَدْغَةً وَاحِدَةً أُخْرَى، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَخَيَّلَ أَيْضًا كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَنْزِلِ دُونَ تَلَقِّي عِدَّةِ لَدَغَاتٍ أُخْرَى. وَفَجْأَةً طَرَأَتْ عَلَى ذِهْنِهِ فِكْرَةٌ مُطَمْئِنَةٌ؛ فَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّ الْخُلْدَ جوني دَائِمًا مَا يَكُونُ لَدَيْهِ بَابٌ خَلْفِيٌّ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَسَوْفَ تُصْبِحُ الْأُمُورُ عَلَى مَا يُرَامُ، وَهَمَّ لِتَقَصِّي ذَلِكَ الْأَمْرِ. أَخْرَجَ بيتر رَأْسَهُ بِحَذَرٍ مِنْ حُجْرَةِ النَّوْمِ الصَّغِيرَةِ؛ فَرَأَى أَمَامَهُ الرَّدْهَةَ الطَّوِيلَةَ الَّتِي أَتَى عَبْرَهَا، وَبِالْفِعْلِ كَانَ ثَمَّةَ رَدْهَةٌ أُخْرَى! لَا بُدَّ أَنَّهَا الطَّرِيقُ إِلَى الْبَابِ الْخَلْفِيِّ، فَتَسَلَّلَ بيتر عَبْرَ الرَّدْهَةِ بِحَذَرٍ.

هُنَا فَكَّرَ قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: «غَرِيبٌ أَنَّنِي لَا أَرَى أَيَّ ضَوْءٍ أَمَامِي.»

هُنَالِكَ، ارْتَطَمَ أَنْفُهُ … أَجَل، ارْتَطَمَ أَنْفُ بيتر بِنِهَايَةِ تِلْكَ الرَّدْهَةِ؛ فَقَدْ كَانَ الْمَنْزِلُ قَدِيمًا، وَمِثْلَ مُعْظَمِ الْمَنَازِلِ الْقَدِيمَةِ، كَانَ مُتَدَاعِيًا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ. عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، كَانَ الْبَابُ الْخَلْفِيُّ مَسْدُودًا بِحَجَرٍ عِمْلَاقٍ، وَقَدْ تَهَدَّمَتْ حَوَائِطُ الرَّدْهَةِ الْخَلْفِيَّةُ. وَهَكَذَا، لَمْ يَكُنْ مِنْ سَبِيلٍ لِلْخُرُوجِ؛ فَعَادَ بيتر أَدْرَاجَهُ إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ فِي حُزْنٍ. كَانَ سَيَنْتَظِرُ إِلَى أَنْ يَجِنَّ اللَّيْلُ؛ فَرُبَّمَا تَكُونُ الدَّبَابِيرُ الصَّفْرَاءُ قَدْ نَامَتْ حِينَهَا، فَيَتَمَكَّنَ مِنَ التَّسَلُّلِ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَمَامِيِّ دُونَ أَنْ يَتَلَقَّى أَيَّةَ لَدَغَاتٍ أُخْرَى، وَإِلَى أَنْ يَأْتِيَ اللَّيْلُ، كَانَ سَيُحَاوِلُ أَخْذَ قَيْلُولَةٍ وَيَنْسَى آلَامَهُ وَأَوْجَاعَهُ.

وَمَا إِنْ تَكَوَّرَ بيتر عَلَى نَفْسِهِ لِيَغْفُوَ حَتَّى سَمِعَ صَوْتًا. كَانَ الصَّوْتُ يَبْدُو كَأَنَّهُ قَادِمٌ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَصْدَرَهُ جَيِّدًا، كَانَ آتِيًا مِنْ مَدْخَلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَيْضًا صَاحِبَ الصَّوْتِ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ صَوْتَ الظَّرِبَانِ جيمي.

قَالَ الصَّوْتُ: «أَنَا أَعْرِفُ أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر، وَأَعْرِفُ سَبَبَ اخْتِبَائِكَ بِالْأَسْفَلِ، وَأَعْرِفُ أَيْضًا مَا الَّذِي جَعَلَنِي أَتَدَحْرَجُ إِلَى أَسْفَلِ التَّلِّ فِي ذَلِكَ الْبِرْمِيلِ. إِنَّنِي أُعْطِيكَ إِنْذَارًا بَسِيطًا فَحَسْبُ يَا بيتر، ثَمَّةَ الْكَثِيرُ مِنَ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ الْغَاضِبَةِ هُنَا، كَمَا سَتَرَى بِنَفْسِكَ إِذَا مَا حَاوَلْتَ الْخُرُوجَ مِنْ مَخْبَئِكَ قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ. أَنَا ذَاهِبٌ الْآنَ، لَكِنِّي سَأَعُودُ عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ لِأَنْتَظِرَكَ؛ فَقَدْ أَرْغَبُ فِي تَدْبِيرِ خُدْعَةٍ صَغِيرَةٍ أَرُدُّ لَكَ بِهَا الْخُدْعَةَ الَّتِي دَبَّرْتَهَا لِي.»

وَقَدْ وَضَعَ هَذَا الْكَلَامُ نِهَايَةً لِأَيِّ أَمَلٍ لَدَى الْأَرْنَبِ بيتر فِي النَّوْمِ؛ فَقَدْ أَخَذَ يَرْتَعِدُ وَهُوَ يُفَكِّرُ فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ لَهُ إِذَا مَا أَمْسَكَ بِهِ الظَّرِبَانُ جيمي. وَهَكَذَا، فَبِسَبَبِ آلَامِهِ وَأَوْجَاعِهِ مِنْ لَدَغَاتِ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ، وَخَوْفِهِ مِنْ أَنْ يُمْسِكَ جيمي بِهِ، صَارَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَنَامَ؛ كَانَ شِبْهَ مُسْتَعِدٍّ لِمُوَاجَهَةِ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ عِوَضًا عَنْ الِانْتِظَارِ وَمُقَابَلَةِ الظَّرِبَانِ جيمي، وَخَرَجَ مَرَّتَيْنِ إِلَى الرَّدْهَةِ الطَّوِيلَةِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَعُودُ أَدْرَاجَهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ احْتِمَالَ الْمَزِيدِ مِنَ اللَّدَغَاتِ. كَانَ بَائِسًا، أَجَلْ كَانَ بَائِسًا، وَقَدِ اضْطَرَبَ عَقْلُهُ وَجَسَدُهُ.

قَالَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَكَادُ يَبْكِي: «لَيْتَنِي لَمْ أُفَكِّرْ فِي تِلْكَ الْخُدْعَةِ، كُنْتُ أَظُنُّهَا خُدْعَةً رَائِعَةً، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كَانَ خَطَأً، لَقَدْ كَانَتْ خُدْعَةً بَغِيضَةً وَدَنِيئَةً. لِمَاذَا؟! لِمَاذَا فَكَّرْتُ فِيهَا؟!»

حِينَذَاكَ كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي قَدْ غَادَرَ الْمَكَانَ كَاتِمًا ضَحِكَاتِهِ.

الفصل الحادي عشر

جيمي يَفِي بِوَعْدِهِ

كُنْ صَادِقَ الْوَعْدِ، صَادِقًا مَعَ نَفْسِكَ، مَهْمَا صَارَ وَمَهْمَا كَانَ.

حِينَ صَاحَ جيمي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ فِي رَدْهَةِ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ مُخْبِرًا الْأَرْنَبَ بيتر بِأَنَّهُ سَيَعُودُ مَعَ حُلُولِ الظَّلَامِ، لَمْ يَكُنْ جَادًّا تَمَامًا؛ فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُشْعِرَ بيتر بِالِاضْطِرَابِ وَالْقَلَقِ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ جيمي لَمْ يَعُدْ غَاضِبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَقَدْ كَانَ قَدِ اسْتَعَادَ طَبِيعَتَهُ الطَّيِّبَةَ، وَصَارَ مَيَّالًا لِلضَّحِكِ هُوَ نَفْسُهُ عَلَى دُعَابَةِ بيتر، لَكِنَّهُ شَعَرَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُتْرَكَ بيتر دُونَ عِقَابٍ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ؛ وَلِذَا قَرَّرَ أَنْ يُخِيفَهُ قَلِيلًا. كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ بيتر لَنْ يَجْرُؤَ عَلَى الْخُرُوجِ خِلَالَ سَاعَاتِ النَّهَارِ بِسَبَبِ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ الَّتِي كَانَ عُشُّهَا فِي مَدْخَلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الْقَدِيمِ، كَمَا كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ بيتر لَنْ يَجْرُؤَ عَلَى مُوَاجَهَتِهِ؛ لِأَنَّهُ سَيَخْشَى أَنْ يَلْقَى مَصِيرَ الثَّعْلَبِ ريدي. وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ بيتر أَنَّهُ سَيَعُودُ عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ، فَقَدْ شَعَرَ بِأَنَّهُ إِذَا بَقِيَ بيتر حَبِيسًا هُنَاكَ لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ، شَاعِرًا بِالْقَلَقِ طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَيَخْرُجُ بِهَا، فَسَيَتَرَدَّدُ كَثِيرًا فِي مُحَاوَلَةِ تَكْرَارِ مِثْلِ هَذِهِ الْخُدْعَةِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَبَيْنَمَا كَانَ جيمي يَسِيرُ مُتَهَادِيًا بَاحِثًا عَنْ بَعْضِ الْخَنَافِسِ، رَاحَ يَضْحَكُ وَيَضْحَكُ وَيَضْحَكُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ بيتر الْآنَ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي تَدْبِيرِ هَذِهِ الْخُدْعَةِ لِي وَلِلثَّعْلَبِ ريدي. رُبَّمَا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ اللَّيْلَةَ، وَرُبَّمَا لَا أَعُودُ، إِنَّهُ لَنْ يَعْرِفَ إِنْ كُنْتُ سَأَفْعَلُ أَمْ لَا، وَلَنْ يَجْرُؤَ عَلَى الْخُرُوجِ.»

هُنَا تَوَقَّفَ جيمي وَحَكَّ رَأْسَهُ مُفَكِّرًا، ثُمَّ تَنَهَّدَ، ثُمَّ حَكَّ رَأْسَهُ وَتَنَهَّدَ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ مُتَمْتِمًا: «حَقًّا؛ لَا أَرْغَبُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى هُنَاكَ اللَّيْلَةَ، لَكِنْ أَظُنُّ أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أَعُودَ. قُلْتُ إِنَّنِي

سَأَعُودُ؛ لِذَا عَلَيَّ أَنْ أَعُودَ، فَأَنَا أُومِنُ بِضَرُورَةِ الْوَفَاءِ بِوُعُودِي، وَإِذَا لَمْ أَفْعَلْ وَاكْتَشَفَ بيتر ذَلِكَ يَوْمًا مَا، فَإِنَّهُ لَنْ يُصَدِّقَنِي فِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ عِنْدَمَا أَقُولُ لَهُ إِنَّنِي سَأَفْعَلُ شَيْئًا مَا. نَعَمْ؛ لَا بُدَّ أَنْ أَعُودَ إِلَى هُنَاكَ، فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ أَهَمُّ مِنْ جَعْلِ الْآخَرِينَ يُصَدِّقُونَ أَنَّكَ حِينَ تَقُولُ شَيْئًا، فَأَنْتَ تَعْنِيهِ. وَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِثْلُ أَنْ تَصُونَ الْعَهْدَ لِتَجْعَلَ الْآخَرِينَ يَحْتَرِمُونَكَ.»

وَلِكَوْنِهِ يَمِيلُ إِلَى الْكَسَلِ بِطَبْعِهِ، قَرَّرَ جيمي أَلَّا يَذْهَبَ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ الَّذِي يَعْلُو مَنْزِلَ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمَ، حَيْثُ يَمْكُثُ بيتر حَبِيسًا عَلَى بُعْدِ مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ، وَهُنَاكَ وَجَدَ جيمي بُقْعَةً دَافِئَةً مُشْمِسَةً، فَتَكَوَّرَ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ لِيَأْخُذَ قَيْلُولَةً، بَلْ إِنَّهُ قَضَى طَوَالَ النَّهَارِ هُنَاكَ. وَحِينَ أَوَى قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ إِلَى فِرَاشِهِ وَرَاءَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، وَغَزَتِ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ أَنْحَاءَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، أَفَاقَ جيمي مِنْ غَفْوَتِهِ وَتَثَاءَبَ ثُمَّ ضَحِكَ فِي سِرِّهِ، وَسَارَ مُتَهَادِيًا إِلَى مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ، وَإِذْ نَظَرَ إِلَى آثَارِ الْأَقْدَامِ الْمَحْفُورَةِ فِي الرِّمَالِ عِنْدَ عَتَبَةِ الْمَنْزِلِ، أَدْرَكَ أَنَّ بيتر لَمْ يَخْرُجْ؛ فَجَلَسَ جيمي وَانْتَظَرَ حَتَّى حَلَّ الظَّلَامُ. بَعْدَ ذَلِكَ، دَسَّ رَأْسَهُ فِي مَدْخَلِ الْمَنْزِلِ، فَوَجَدَ الدَّبَابِيرَ الصَّفْرَاءَ قَدْ خَلَدَتْ إِلَى النَّوْمِ وَلَنْ تُفِيقَ حَتَّى الصَّبَاحِ.

صَاحَ جيمي عَبْرَ الرَّدْهَةِ، جَاعِلًا صَوْتَهُ يَبْدُو غَاضِبًا بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ، قَائِلًا: «اخْرُجْ يَا بيتر، أَنَا فِي انْتِظَارِكَ!» لَكِنَّهُ كَانَ يُقَهْقِهُ ضَاحِكًا فِي سِرِّهِ، ثُمَّ اسْتَدَارَ جيمي فِي هُدُوءٍ وَانْصَرَفَ إِلَى شَأْنِهِ. كَانَ قَدْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ.

أَمَّا عَنِ الْأَرْنَبِ بيتر، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَحَدَ أَسْوَأِ الْأَيَّامِ الَّتِي يَذْكُرُهَا فِي حَيَاتِهِ، كَانَ يَشْعُرُ بِأَلَمٍ وَوَخْزٍ مِنْ لَدَغَاتِ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ، وَظَلَّ قَلِقًا طَوَالَ الْيَوْمِ؛ مِمَّا قَدْ يَحْدُثُ لَهُ إِذَا مَا قَابَلَ الظَّرِبَانَ جيمي، وَكَمَا أَنَّهُ كَانَ جَائِعًا. كَانَ لَدَيْهِ بَصِيصٌ ضَئِيلٌ مِنَ الْأَمَلِ فِي أَلَّا يَعُودَ جيمي عِنْدَمَا يَحُلُّ الظَّلَامُ، فَزَحَفَ صَاعِدًا جُزْءًا مِنَ الرَّدْهَةِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَمَدَّدَ مُنْتَظِرًا التَّأَكُّدَ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الدَّبَابِيرَ الصَّفْرَاءَ الْمُخِيفَةَ قَدْ خَلَدَتْ إِلَى النَّوْمِ، وَمَا كَادَ يُقَرِّرُ أَنَّ الْوَضْعَ صَارَ آمِنًا لِأَنْ يَلُوذَ بِالْفِرَارِ، حَتَّى وَصَلَهُ صَوْتُ الظَّرِبَانِ جيمي عَبْرَ الرَّدْهَةِ. مِسْكِينٌ بيتر! كَادَ سَمَاعُ ذَلِكَ الصَّوْتِ يَفْطُرُ قَلْبَهُ.

قَالَ بيتر شِبْهَ بَاكٍ وَهُوَ يَعُودُ أَدْرَاجَهُ إِلَى حُجْرَةِ نَوْمِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمَةِ: «لَقَدْ عَادَ، لَقَدْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ.»

مَكَثَ بيتر فِي مَكَانِهِ ذَاكَ طِيلَةَ مَا تَبَقَّى مِنَ اللَّيْلِ تَقْرِيبًا، مَعَ أَنَّ مَعِدَتَهُ كَانَتْ خَاوِيَةً حَتَّى إِنَّهَا آلَمَتْهُ. وَقُبَيْلَ مَوْعِدِ شُرُوقِ الشَّمْسِ، غَامَرَ بيتر بِالِانْدِفَاعِ خَارِجًا مِنْ مَنْزِلِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ، فَاجْتَازَ عُشَّ الدَّبَابِيرِ الصَّفْرَاءِ بِسَلَامٍ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ قَدِ اسْتَيْقَظَتْ بَعْدُ، ثُمَّ قَفَزَ خَارِجًا مِنَ الْبَابِ وَقَلْبُهُ يَتَوَاثَبُ فِي صَدْرِهِ مِنْ فَرْطِ الْخَوْفِ. لَمْ يَكُنِ الظَّرِبَانُ جيمي بِالْخَارِجِ؛ فَتَنَهَّدَ بيتر بِارْتِيَاحٍ ثُمَّ انْطَلَقَ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ الْآمِنِ.

وَأَخَذَ يُرَدِّدُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَجْرِي: «لَنْ أُدَبِّرَ خُدْعَةً أُخْرَى مَا حَيِيتُ.»

الفصل الثاني عشر

الظَّرِبَانُ جيمي يَلْتَقِي الْعَمَّ بيلي الْأَبُوسُومَ

سَارَ الظَّرِبَانُ جيمي مُتَهَادِيًا عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. لَمْ يُسْرِعِ الْخُطَى، فَجيمي لَا يُسْرِعُ أَبَدًا؛ فَالْعَجَلَةُ وَالْقَلَقُ أَمْرَانِ يَتْرُكُهُمَا لِجِيرَانِهِ. وَكَانَ جيمي يَتَوَقَّفُ مِنْ آنٍ لِآخَرَ لِيَقْلِبَ قِطْعَةً مِنْ لِحَاءِ شَجَرَةٍ أَوْ عَصًا، آمِلًا فِي إِيجَادِ بَعْضِ الْخَنَافِسِ السَّمِينَةِ، لَكِنْ كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا آخَرَ بِبَالِهِ غَيْرَ الْخَنَافِسِ السَّمِينَةِ.

سَارَ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ مُتَثَاقِلًا عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ يَسِيرُ مُسْرِعًا؛ فَحَرَارَةُ الْجَوِّ كَانَتْ تَمْنَعُهُ مِنَ الْإِسْرَاعِ. وَعَلَى عَكْسِ الظَّرِبَانِ جيمي، كَانَ الْعَمُّ بيلي يُسْرِعُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، خَاصَّةً حِينَ يَشُكُّ أَنَّ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر فِي الْجِوَارِ، وَأَحْيَانًا يَشْعُرُ بِالْقَلَقِ أَيْضًا؛ فَبَعْضُ الْأَشْخَاصِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْعَمَّ بيلي يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ عَشَاءً شَهِيًّا، لَكِنَّ الْعَمَّ بيلي لَا يَعْتَقِدُ ذَلِكَ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، هُوَ لَا يَرْغَبُ فِي طَرْحِ الْمَوْضُوعِ لِلتَّجْرِبَةِ، فَمِنْ حِينٍ لِآخَرَ، حِينَ يَجِدُ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ عَشَاءً شَهِيًّا، يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْقَلَقِ.

لَكِنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَمْ يَكُنِ الْعَمُّ بيلي مُتَعَجِّلًا وَلَا قَلِقًا؛ فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ دَاعٍ لِذَلِكَ، وَالْعَمُّ بيلي لَا يَفْعَلُ شَيْئًا لَا دَاعِيَ لَهُ. هَكَذَا، كَانَ الْعَمُّ بيلي يَسِيرُ مُتَثَاقِلًا فِي الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ، وَكَانَ جيمي يَسِيرُ مُتَهَادِيًا فِي الِاتِّجَاهِ الْمُعَاكِسِ مِنَ الطَّرِيقِ نَفْسِهِ، وَعِنْدَ أَحَدِ مُنْعَطَفَاتِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ الْتَقَيَا.

ابْتَسَمَ الظَّرِبَانُ جيمي وَقَالَ: «مَرْحَبًا أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي، هَلْ رَأَيْتَ أَيَّةَ خَنَافِسَ سَمِينَةٍ هَذَا الصَّبَاحَ؟»

فَأَجَابَ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا: «صَبَاحُ الْخَيْرِ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَجْزِمَ بِأَنَّنِي رَأَيْتُ أَيًّا مِنْهَا. كُنْتُ أَنْوِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنِ الشَّيْءِ نَفْسِهِ.»

جَلَسَ جيمي وَنَظَرَ إِلَى الْعَمِّ بيلي بِعَيْنَيْنِ لَامِعَتَيْنِ، ثُمَّ رَاحَتِ ابْتِسَامَتُهُ تَتَّسِعُ إِلَى أَنْ تَحَوَّلَتْ إِلَى ضَحْكَةٍ خَافِتَةٍ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي، هَلْ سَبَقَ لَكَ فِي حَيَاتِكَ أَنْ مَشَّطْتَ شَعْرَكَ أَوْ فِرَاءَكَ؟» فَكَمَا تَعْلَمُونَ، الْعَمُّ بيلي دَائِمًا مَا يَبْدُو كَمَا لَوْ أَنَّ كُلَّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ تَتَّجِهُ فِي نَاحِيَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْأُخْرَى، بَيْنَمَا يَبْدُو الظَّرِبَانُ جيمي دَائِمًا أَنِيقًا كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَقْضِي نِصْفَ وَقْتِهِ فِي تَمْشِيطِ وَتَهْذِيبِ فِرَائِهِ الْجَمِيلِ ذِي اللَّوْنَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ.

لَمَعَتْ عَيْنَا الْعَمِّ بيلي، وَقَالَ دُونَ أَنْ يَبْتَسِمَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّنِي فَعَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حِينَ كُنْتُ صَغِيرًا يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، وَلَكِنْ يَبْدُو لِي هَذَا الْأَمْرُ مَضْيَعَةً كَبِيرَةً لِلْوَقْتِ، وَأَنَا لَدَيَّ أَشْيَاءُ أَهَمُّ أُعْنَى بِهَا. بِالْمُنَاسَبَةِ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، هَلْ سَبَقَ أَنْ فَرَرْتَ هَارِبًا مِنْ أَحَدٍ فِي حَيَاتِكَ؟»

بَدَتْ عَلَى جيمي الدَّهْشَةُ مِنَ السُّؤَالِ، وَرَاحَ يَحُكُّ رَأْسَهُ مُفَكِّرًا، وَبَعْدَ بُرْهَةٍ قَالَ: «لَا أَذْكُرُ شَيْئًا كَهَذَا.» وَاسْتَطْرَدَ مُضِيفًا بِضَحْكَةٍ قَصِيرَةٍ خَشِنَةٍ: «مُعْظَمُ الْكَائِنَاتِ الْأُخْرَى تَفِرُّ مِنِّي، وَمَنْ لَا يَفِرُّونَ، دَائِمًا مَا يَكُونُونَ مُهَذَّبِينَ وَيَبْتَعِدُونَ عَنْ طَرِيقِي. رُبَّمَا كُنْتُ قَدْ فَرَرْتُ مِنْ أَحَدٍ مَا، حِينَ كُنْتُ صَغِيرًا جِدًّا وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا عَنِ الْعَالَمِ الْوَاسِعِ وَالْكَائِنَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِيهِ، لَكِنْ إِنْ كَانَ ذَلِكَ قَدْ حَدَثَ، فَإِنَّنِي لَا أَذْكُرُهُ. لِمَ تَسْأَلُ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي؟»

أَجَابَ الْعَمُّ بيلي، وَقَدِ ازْدَادَ بَرِيقُ عَيْنَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى: «أُوهْ! لَيْسَ لِسَبَبٍ مُحَدَّدٍ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، لَيْسَ لِسَبَبٍ مُحَدَّدٍ. إِنَّنِي فَقَطْ أَتَسَاءَلُ أَحْيَانًا إِنْ كُنْتَ تُدْرِكُ كَمْ أَنْتَ مَحْظُوظٌ. لَوْ لَمْ أَكُنْ مُضْطَرًّا لِلْقَلَقِ مِنْ جِيرَانِيَ الْجَوْعَى، أَعْتَقِدُ أَنَّنِي رُبَّمَا كُنْتُ مَشَّطْتُ فِرَائِي أَكْثَرَ.»

رَدَّ جيمي فِي حِكْمَةٍ: «إِنَّ الْقَلَقَ نَتِيجَةُ عَدَمِ الِاسْتِعْدَادِ، وَالشَّخْصُ الَّذِي يَكُونُ مُسْتَعِدًّا، لَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْقَلَقِ. فَكِّرْ فِي الْأَمْرِ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي.»

كَانَ هَذَا هُوَ دَوْرَ الْعَمِّ بيلي فِي حَكِّ رَأْسِهِ مُفَكِّرًا، ثُمَّ قَالَ: «أَخْشَى أَنَّنِي لَا أَفْهَمُ مَا تَعْنِيهِ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ.»

أَجَابَهُ جيمي قَائِلًا: «اجْلِسْ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي؛ فَسَوْفَ أَشْرَحُ لَكَ.»

الفصل الثالث عشر

جيمي يُوَضِّحُ قَصْدَهُ

أَيْنَمَا زَادَ الِاسْتِعْدَادُ قَلَّتِ الْمَتَاعِبُ.

قَالَ جيمي: «بِدَايَةً، أَنَا لَسْتُ ضَخْمًا، أَلَيْس كَذَلِكَ؟»

أَجَابَهُ الْعَمُّ بيلي مُبْتَسِمًا: «أَعْتَقِدُ أَنَّنِي أَعْرِفُ كَثِيرِينَ يَفُوقُونَكَ حَجْمًا يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ.» كَمَا تَعْلَمُونَ الظَّرِبَانُ جيمي صَغِيرٌ فِعْلًا مُقَارَنَةً بِبَعْضِ جِيرَانِهِ.

وَاصَلَ جيمي قَائِلًا: «كَمَا أَنَّنِي لَا أَمْلِكُ مَخَالِبَ طَوِيلَةً جِدًّا، أَوْ أَسْنَانًا كَبِيرَةً جِدًّا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي، وَقَدْ بَدَا أَنَّهُ صَارَ أَكْثَرَ حَيْرَةً مِنْ ذِي قَبْلُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ مَخَالِبِي فِي نَفْسِ طُولِ مَخَالِبِكَ، وَأَسْنَانِي فِي نَفْسِ حَجْمِ أَسْنَانِكَ تَقْرِيبًا.»

وَاصَلَ جيمي حَدِيثَهُ قَائِلًا: «وَلَكِنَّكَ لَمْ تَرَ أَحَدًا يُضَايِقُنِي قَطُّ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي: «بَلَى.»

قَالَ جيمي فِي إِصْرَارٍ: «وَالْأَمْرُ نَفْسُهُ يَنْطَبِقُ عَلَى الشَّيْهَمِ الْبَدِينِ بريكلي بوركي؛ إِنَّكَ لَا تَرَى أَحَدًا يُضَايِقُهُ أَوْ يَتَعَرَّضُ لَهُ بِالسُّوءِ أَبَدًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

أَجَابَ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا مَرَّةً أُخْرَى: «بَلَى.»

فَسَأَلَهُ جيمي: «لِمَ؟»

ابْتَسَمَ الْعَمُّ بيلي ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً قَائِلًا: «أَعْتَقِدُ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَنْ يَرْغَبُ فِي التَّعَرُّضِ لَكَ أَوْ لِبريكلي بوركي بِالسُّوءِ. أَظُنُّ أَنَّ مُعْظَمَ سُكَّانِ الْغَابَةِ يَعْرِفُونَ مَا سَيَحْدُثُ لَهُمْ عِنْدَئِذٍ، وَأَنَّ خَيْرًا لِلْمَرْءِ أَنْ يَتْرُكَكُمَا أَنتَ وَبريكلي بوركي وَشَأْنَكُمَا. عَلَى الْأَقَلِّ، أَنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، فَلَا نِيَّةَ لَدَيَّ لِلْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ مَعَ أَيٍّ مِنْكُمَا؛ إِنَّ كِيسَ الرَّائِحَةِ الصَّغِيرَ

هَذَا الَّذي تَحْمِلُهُ قَوِيٌّ جِدًّا بِالتَّأْكِيدِ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، كَمَا أَنَّنِي لَا أَرْغَبُ فِي الِاحْتِكَاكِ بِتِلْكَ الرِّمَاحِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ صَدِيقِي بريكلي بوركي بِوَفْرَةٍ مِنْهَا. أَنَا أَعْرِفُ الْأَصْلَحَ لِي، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْآخَرِينَ مِثْلِي.»

أَطْلَقَ جيمي ضَحْكَةً خَافِتَةً، ثُمَّ قَالَ: «سُؤَالٌ أَخِيرٌ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي، هَلْ عَرَفْتَ عَنِّي يَوْمًا أَنَّنِي بَدَأْتُ شِجَارًا أَوْ أَنَّنِي اسْتَخْدَمْتُ كِيسَ الرَّائِحَةِ هَذَا دُونَ أَنْ يُهَاجِمَنِي أَحَدٌ؟»

اسْتَغْرَقَ الْعَمُّ بيلي بِضْعَ دَقَائِقَ فِي التَّفْكِيرِ، ثُمَّ أَجَابَ قَائِلًا: «لَا أَظُنُّنِي رَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.»

أَوْضَحَ جيمي قَائِلًا: «كَمَا أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ عَنِ بريكلي بوركي أَنَّهُ يُحِبُّ إِثَارَةَ الْمَتَاعِبِ، إِنَّ كِلَيْنَا لَا يَتَسَبَّبُ فِي الْمَتَاعِبِ، كَمَا أَنَّ الْمَتَاعِبَ لَا تَأْتِي إِلَيْنَا؛ وَهَذَا لِأَنَّ كِلَيْنَا مُسْتَعِدٌّ دَائِمًا لِلْمَتَاعِبِ، وَالْجَمِيعُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ. إِنَّ الدُّبَّ باستر لَوْ دَاسَ عَلَيَّ لَسَحَقَنِي، وَلَكِنَّهُ لَا يُحَاوِلُ فِعْلَ ذَلِكَ، وَأَنْتَ تُلَاحِظُ أَنَّهُ يَكُونُ مُهَذَّبًا جِدًّا مَعِي حِينَ نَلْتَقِي. فَأَنَا وَبريكلي بوركي مُسَلَّحَانِ «لِلدِّفَاعِ» عَنْ أَنْفُسِنَا، وَلَكِنَّنَا لَا نَسْتَخْدِمُ أَسْلِحَتَنَا فِي «الْهُجُومِ» عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّ أَحَدًا لَا يُضَايِقُنَا، وَنَحْنُ لَا نُضَايِقُ أَحَدًا. وَهُنَا تَكْمُنُ رَوْعَةُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدًّا.»

ظَلَّ الْعَمُّ بيلي يُفَكِّرُ فِي الْأَمْرِ بِضْعَ دَقَائِقَ، ثُمَّ تَنَهَّدَ مَرَّتَيْنِ.

وَقَالَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّكَ وَصَدِيقِي بريكلي بوركي أَوْفَرُ مَنْ عَرَفْتُهُمْ حَظًّا. حَقًّا، إِنَّنِي أَرَاكُمَا مَحْظُوظَيْنِ. أَنَا لَا أَخْشَى أَحَدًا فِي مِثْلِ حَجْمِي، وَلَكِنَّنِي كَثِيرًا مَا يَشْتَدُّ خَوْفِي عِنْدَ لِقَاءِ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ بِعَيْنِهِمْ. لَيْتَ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ حَبَتْنِي شَيْئًا يَجْعَلُ الْآخَرِينَ يَخْشَوْنَنِي مِثْلَمَا يَخْشَوْنَكَ، فَأَنَا صِرْتُ وَاثِقًا مِنْ أَهَمِّيَّةِ الِاسْتِعْدَادِ بَعْدَمَا رَأَيْتُكَ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ. نَعَمْ، الْحَقُّ مَا أَقُولُهُ لَكَ. هَلْ رَأَيْتَ بَيْضًا طَازَجًا مُؤَخَّرًا؟»

الفصل الرابع عشر

عَنِ الْبَيْضِ

يَقُولُ جيمي: «مَا أَطْيَبَ الْبَيْضَ! مَا أَطْيَبَهُ مِنْ طَعَامٍ!»
وَتَقُولُ السَّيِّدَةُ طيهوجة: «مَا أَعَزَّ الْبَيْضَ! يَفْقِسُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ صِغَارِيَ الْأَحِبَّاءُ!»

هَكَذَا تَخْتَلِفُ الْآرَاءُ فِي الْبَيْضِ حَسَبَ وِجْهَةِ النَّظَرِ، مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْكَثِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الْأُخْرَى؛ فَالظَّرِبَانُ جيمي وَالْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ يَنْظُرَانِ إِلَى الْبَيْضِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ يُؤْكَلُ. مَعِدَتَاهُمَا تَدْفَعَانِهِمَا إِلَى التَّفْكِيرِ فِي الْبَيْضِ، فَالْبَيْضُ طَعَامٌ مُنَاسِبٌ لِمَلْءِ الْبُطُونِ الْخَاوِيَةِ، وَمُجَرَّدُ التَّفْكِيرِ فِيهِ يَسِيلُ لَهُ لُعَابُ جيمي وَالْعَمِّ بيلي. هُمَا يَقُولَانِ إِنَّهُمَا «يُحِبَّانِ» الْبَيْضَ، وَلَكِنَّهُمَا لَا يُحِبَّانِهِ، إِنَّهُ «يَطِيبُ» لَهُمَا، وَهُوَ أَمْرٌ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا.

وَلَكِنَّ السَّيِّدَةَ طيهوجة وَالْغَالِبِيَّةَ الْعُظْمَى مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ الْمَكْسُوِّينَ بِالرِّيشِ «يُحِبُّونَ» الْبَيْضَ بِحَقٍّ. فَفِي حَالَتِهِمُ، الْقَلْبُ — وَلَيْسَ الْمَعِدَةُ — هُوَ الَّذِي يَسْتَجِيبُ لِفِكْرَةِ الْبَيْضِ. فِي رَأْيِهِمْ، يَكَادُ الْبَيْضُ يَكُونُ عَزِيزًا كَصِغَارِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْبَيْضَ فِي يَوْمٍ مَا — فِي يَوْمٍ مَا قَرِيبٍ جِدًّا — سَيَصِيرُ صِغَارَهُمْ. وَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنْ أَقُولَ إِنَّ بَعْضَ الْكَائِنَاتِ الْمَكْسُوَّةِ بِالرِّيشِ «تُحِبُّ» بَيْضَهَا، لَكِنَّهَا «يَطِيبُ» لَهَا أَكْلُ بَيْضِ الْآخَرِينَ، مَثَلُهَا مَثَلُ الظَّرِبَانِ جيمي وَالْعَمِّ بيلي، وَمِنْ هَؤُلَاءِ: الْغُرَابُ بلاكي، وَطَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي.

فَفِي فَصْلِ الرَّبِيعِ، كَثِيرًا مَا يَتَبَارَى سُكَّانُ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ الصِّغَارُ فِي اسْتِخْدَامِ ذَكَائِهِمْ؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ بَيْضٌ، يُحَاوِلُونَ إِبْقَاءَ الْأَمْرِ سِرًّا، أَوْ يَبْنُونَ الْأَعْشَاشَ الَّتِي تَحْفَظُ الْبَيْضَ حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ يَرْغَبُونَ فِي الْتِهَامِهِ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، بَيْنَمَا يُحَاوِلُ مَنْ يَشْتَهُونَ الْبَيْضَ الْعُثُورَ عَلَيْهِ.

حِينَ غَيَّرَ الْعَمُّ بيلِي الْمَوْضُوعَ فَجْأَةً بِسُؤَالِ الظَّرِبَانِ جيمي عَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى أَيَّ بَيْضٍ طَازَجٍ مُؤَخَّرًا، مَسَّ بِذَلِكَ مَوْضُوعًا عَزِيزًا عَلَى قَلْبِ جيمي؛ بَلْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ أَقُولَ عَزِيزًا عَلَى مَعِدَتِهِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ اشْتِيَاقُ جيمي لِلْبَيْضِ هُوَ مَا أَتَى بِهِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ إِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ السَّيِّدَةَ طيهوجة تُخَبِّئُ مِلْءَ عُشٍّ مِنَ الْبَيْضِ اللَّذِيذِ فِي مَكَانٍ مَا، وَمَا أَتَى إِلَّا بَحْثًا عَنْهُ.

أَجَابَ جيمي قَائِلًا: «لَا، لَمْ يُحَالِفْنِي الْحَظُّ مُطْلَقًا طِيلَةَ هَذَا الرَّبِيعِ، حَتَّى إِنَّنِي كِدْتُ أَنْسَى طَعْمَ الْبَيْضِ؛ إِمَّا أَنَّنِي أَزْدَادُ غَبَاءً وَحُمْقًا، وَإِمَّا أَنَّ بَعْضَ الْكَائِنَاتِ قَدْ أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ ذَكَاءً مِنَ الْمُعْتَادِ. بِالْمُنَاسَبَةِ، هَلْ رَأَيْتَ السَّيِّدَةَ طيهوجة مُؤَخَّرًا؟» بَدَا جيمي شَدِيدَ الْبَرَاءَةِ؛ إِذْ سَأَلَ هَذَا السُّؤَالَ.

قَهْقَهَ الْعَمُّ بيلِي ضَاحِكًا حَتَّى اهْتَزَّ جَسَدُهُ، وَقَالَ مُتَسَائِلًا: «هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأُخْبِرُكَ لَوْ أَنَّنِي رَأَيْتُهَا؟! أَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ مَا لَدَى السَّيِّدَةِ طيهوجة مِنَ الْبَيْضِ بِالْكَادِ يَكْفِينِي، نَاهِيكَ عَنِ السَّيِّدَةِ أبوسوم.» وَهُنَا نَظَرَ الْعَمُّ بيلِي خَلْفَهُ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ السَّيِّدَةَ أبوسوم لَا تَسْتَطِيعُ سَمَاعَهُمَا، بَيْنَمَا أَخَذَ الظَّرِبَانُ جيمي يَضْحَكُ. وَاسْتَطْرَدَ الْعَمُّ بيلِي قَائِلًا: «يَبْدُو لِي يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَذْهَبَ لِتَبْحَثَ عَنِ الْبَيْضِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَتَتْرُكَ لِيَ الْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ. هَذَا حَلٌّ عَادِلٌ تَمَامًا؛ تَعْلَمُ أَنَّنِي لَا أُحِبُّ الِابْتِعَادَ عَنِ الْأَشْجَارِ أَبَدًا، أَمَّا أَنْتَ فَلَا تُمَانِعُ فِي ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ لَدَيْكَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بَيْضًا أَكْثَرَ مِمَّا لَدَيَّ مِنْ بَيْضٍ هُنَا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الطُّيُورِ تَبْنِي أَعْشَاشَهَا عَلَى الْأَرْضِ هُنَاكَ؛ فَلَدَيْكَ السُّمَّانُ الْبَرِّيُّ، وَقُبَّرَةُ الْمُرُوجِ، وَطَائِرُ الْمِمْرَاحِ، وَعُصْفُورُ الْحَقْلِ، وَ...»

قَالَ الظَّرِبَانُ جيمي مُقَاطِعًا: «لَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلِي، أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُمْ. أَقْصِدُ أَنِّي أَعْرِفُ عَنْهُمْ كُلَّ مَا أَرْغَبُ فِي مَعْرِفَتِهِ، فِيمَا عَدَا مَكَانَ بَيْضِهِمْ. أَلَمْ أُخْبِرْكَ لِلتَّوِّ بِأَنَّ الْحَظَّ لَمْ يُحَالِفْنِي مُطْلَقًا؟ وَهَذَا سَبَبُ وُجُودِي هُنَا الْآنَ.»

فَرَدَّ الْعَمُّ بيلِي قَائِلًا: «حَسَنًا، لَنْ يُحَالِفَكَ أَيُّ حَظٍّ هُنَا إِلَّا إِذَا كُنْتَ أَذْكَى مِنَ الْعَمِّ بيلِي بِكَثِيرٍ، وَحِينَ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالْبَحْثِ عَنِ الْبَيْضِ، فَإِنَّنِي لَا أَتَنَازَلُ لِأَحَدٍ وَلَا حَتَّى أَنْتَ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ.»

الفصل الخامس عشر

لِقَاءٌ ثَانٍ

لَمْ يَسْتَطِعِ الظَّرِبَانُ جيمي التَّفْكِيرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ سِوَى الْبَيْضِ، وَكُلَّمَا فَكَّرَ فِيهِ ازْدَادَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْتِهَامِ بَعْضٍ مِنْهُ. وَبَعْدَمَا تَرَكَ الْعَمَّ بيلي فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، عَادَ أَدْرَاجَهُ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَأَخَذَ يَجُولُ فِي الْأَنْحَاءِ بَحْثًا عَنِ الْأَعْشَاشِ الَّتِي بَنَاهَا جِيرَانُهُ ذَوُو الرِّيشِ عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَوْفَرَ حَظًّا مِنَ الْمَرَّاتِ السَّابِقَةِ.

وَكَانَتْ حَالُ الْعَمِّ بيلي كَحَالِ جيمي تَقْرِيبًا؛ فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَقُّفَ إِطْلَاقًا عَنِ التَّفْكِيرِ فِي بَيْضِ السَّيِّدَةِ طيهوجة، وَكُلَّمَا حَاوَلَ نِسْيَانَ أَمْرِ هَذَا الْبَيْضِ، ازْدَادَ تَفْكِيرُهُ فِيهِ.

قَالَ الْعَمُّ بيلي لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُشَاهِدُ الظَّرِبَانَ جيمي يَتَهَادَى مُبْتَعِدًا فِي الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ: «لَدَيَّ شُعُورٌ قَوِيٌّ بِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ هَذَا الْبَيْضِ. حَقًّا، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ ثَمَّةَ فَائِدَةٌ مِنَ الْبَحْثِ عَنْهُ؛ لَقَدْ بَحَثْتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ خَطَرَ عَلَى بَالِي بِالْفِعْلِ، وَلَكِنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ التَّفْكِيرَ فِي أَيِّ طَعَامٍ طَيِّبٍ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ الْبَيْضُ شَهِيًّا بِالتَّأْكِيدِ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى هَذَا الْبَيْضِ، وَإِلَّا مَا ظَلِلْتُ أُفَكِّرُ فِيهِ كَثِيرًا هَكَذَا. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الْمُؤْلِمِ أَنْ أَحْمِلَ الْبَيْضَ فِي عَقْلِي طَوَالَ الْوَقْتِ، لَكِنِّي سَأَسْتَمْتِعُ أَكْثَرَ بِحَمْلِهِ فِي مَعِدَتِي، وَهَذَا أَكِيدٌ.» ابْتَسَمَ الْعَمُّ بيلي وَبَدَأَ يَتَسَكَّعُ فِي الْأَنْحَاءِ عَلَى غَيْرِ هُدًى، آمِلًا فِي أَنْ تَقُودَهُ الصُّدْفَةُ إِلَى عُشِّ السَّيِّدَةِ طيهوجة.

وَمَهْمَا فَعَلَ، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْعَمُّ بيلي التَّوَقُّفَ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي الْبَيْضِ، وَكُلَّمَا فَكَّرَ فِيهِ أَكْثَرَ، ازْدَادَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُ؛ وَقَدْ دَفَعَهُ هَذَا إِلَى التَّفْكِيرِ فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لَدَى الْمُزَارِعِ براون. كَانَ قَدْ عَقَدَ الْعَزْمَ مُنْذُ زَمَنٍ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَى هُنَاكَ، لَكِنَّ

اشْتِيَاقَهُ إِلَى مَذَاقِ الْبَيْضِ كَانَ أَقْوَى مِنْ قَرَارَاتِهِ الْحَاسِمَةِ. وَهَكَذَا، مَا إِنْ تَوَارَى قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ لِيَسْتَرِيحَ وَرَاءَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، وَزَحَفَتِ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ فِي أَنْحَاءِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، حَتَّى انْسَلَّ الْعَمُّ بيلي، مُحَاوِلًا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ تَجَنُّبَ شَكِّ السَّيِّدَةِ أبوسوم الْعَجُوزِ فِي وِجْهَتِهِ.

تَسَلَّلَ الْعَمُّ بيلي خَارِجًا مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، مُتَدَثِّرًا بِالظِّلَالِ السَّوْدَاءِ وَمُحَاذِيًا لِلْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عِنْدَ أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ حَتَّى بَلَغَ حَظِيرَةَ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون. هُنَا تَوَقَّفَ لِيُصِيخَ السَّمْعَ؛ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٌ لِكَلْبِ الصَّيْدِ باوزر، فَأَطْلَقَ الْعَمُّ بيلي تَنْهِيدَةً خَافِتَةً؛ كَانَتْ تَنْهِيدَةَ ارْتِيَاحٍ، ثُمَّ تَسَلَّلَ حَوْلَ أَحَدِ أَرْكَانِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ بِاتِّجَاهِ حُفْرَةٍ أَسْفَلَهَا يَذْكُرُهَا جَيِّدًا، وَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَى الْحُفْرَةِ، حَتَّى رَأَى شَيْئًا أَبْيَضَ اللَّوْنِ. كَانَ الشَّيْءُ يَتَحَرَّكُ مُتَّجِهًا نَاحِيَتَهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ لِحَظِيرَةِ الدَّجَاجِ؛ فَتَسَمَّرَ الْعَمُّ بيلي فِي مَكَانِهِ، وَاحْتَارَ بَيْنَ الْفِرَارِ وَالْبَقَاءِ حَيْثُ هُوَ. ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ نَخْرٍ خَفِيضٍ، فَقَرَّرَ أَنْ يَبْقَى، بَلْ إِنَّهُ ابْتَسَمَ. وَبَعْدَ ثَوَانٍ، صَعِدَ الظَّرِبَانُ جيمي مِنَ الْحُفْرَةِ، وَلَمْ يَكُنِ الشَّيْءُ الْأَبْيَضُ الَّذِي رَآهُ الْعَمُّ بيلي إِلَّا خَطًّا أَبْيَضَ عَلَى فَرْوَةِ جيمي.

أَصْدَرَ جيمي صَوْتَ نَخْرٍ خَافِتًا مِنْ فَرْطِ الْمُفَاجَأَةِ حِينَ كَادَ يَصْطَدِمُ بِالْعَمِّ بيلي. وَسَأَلَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا؟»

أَجَابَ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا وَقَدِ ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ أَعْرَضُ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى: «إِنَّنِي أَتَمَشَّى قَلِيلًا لِأَفْتَحَ شَهِيَّتِي. وَأَنْتَ مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ؟»

أَجَابَ جيمي قَائِلًا: «مَا تَفْعَلُهُ نَفْسَهُ.» ثُمَّ أَطْلَقَ ضَحْكَةً قَصِيرَةً وَأَضَافَ: «هَذَا لِقَاءٌ غَيْرُ مُتَوَقَّعٍ. أَظُنُّ أَنَّكَ كُنْتَ تُفَكِّرُ فِي نَفْسِ مَا كُنْتُ أُفَكِّرُ فِيهِ طِيلَةَ الْيَوْمِ.»

أَجَابَ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا: «أَظُنُّ الْأَمْرَ نَفْسَهُ كَذَلِكَ.» وَابْتَسَمَ الِاثْنَانِ.

الفصل السادس عشر

مَسْأَلَةُ تَأَدُّبٍ

لَا يَضِيرُكَ شَيْئًا أَنْ تَكُونَ مُهَذَّبًا وَذَاكَ هُوَ الْأَصْوَبُ دَوْمًا.

أَخَذَ الْعَمُّ بيلي وَالظَّرِبَانُ جيمي — وَقَدْ وَقَفَ أَحَدُهُمَا فِي مُوَاجَهَةِ الْآخَرِ تَلُفُّهُمَا الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ بِالْقُرْبِ مِنْ حُفْرَةٍ مُؤَدِّيَةٍ إِلَى أَسْفَلِ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون — يَضْحَكَانِ إِذْ فَكَّرَ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي سَبَبِ مَجِيءِ الْآخَرِ. عَجِيبٌ أَمْرُ الْأَفْكَارِ الْمُتَشَابِهَةِ الَّتِي كَثِيرًا مَا تُقَرِّبُ الْأَفْرَادَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ فَقَدْ كَانَتْ مَعِدَةُ الْعَمِّ بيلي تَشْتَهِي الطَّعَامَ نَفْسَهُ الَّذِي تَشْتَهِيهِ مَعِدَةُ جيمي، وَكَانَ الظَّرِبَانُ جيمي يُفَكِّرُ فِي نَفْسِ الشَّيْءِ الَّذِي يُفَكِّرُ فِيهِ الْعَمُّ بيلي. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، كَانَتْ تِلْكَ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي يَلْتَقِيَانِ فِيهَا خِلَالَ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ فَقَدِ الْتَقَيَا ذَاكَ الصَّبَاحَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَالْتَقَيَا مَرَّةً أُخْرَى وَسْطَ ظِلَالِ الْمَسَاءِ السَّوْدَاءِ عِنْدَ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الْبَيْضِ. أَجَلْ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ بِسَبَبِ الْبَيْضِ.

سَأَلَ جيمي فِي أَدَبٍ: «هَلْ خَرَجْتَ لِتَوِّكَ مِنَ الْحَظِيرَةِ، أَمْ أَنَّكَ كُنْتَ سَتَدْخُلُهَا لِتَوِّكَ؟»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي فِي أَدَبٍ مُمَاثِلٍ: «لَقَدْ كُنْتُ عَلَى وَشْكِ الدُّخُولِ، وَلَكِنَّنِي سَأَدْخُلُ بَعْدَكَ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ.»

فَقَالَ جيمي: «مُسْتَحِيلٌ، لَمْ أَكُنْ لِأُفَكِّرَ وَلَوْ لِوَهْلَةٍ فِي الدُّخُولِ قَبْلَكَ. آمُلُ أَنَّ أَخْلَاقِي أَفْضَلُ مِنْ أَنْ تَسْمَحَ لِي بِذَلِكَ.»

فَقَالَ الْعَمُّ بيلي: «إِنَّكَ بَالِغُ الْأَدَبِ بِالتَّأْكِيدِ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ. إِنَّكَ فَخْرٌ لِتَرْبِيَتِكَ، لَكِنَّ الْأَدَبَ لَطَالَمَا كَانَ سُلُوكًا عَامًّا فِي عَائِلَتِكَ. ثَمَّةَ قَوْلٌ مَأْثُورٌ مَفَادُهُ أَنَّ

الْحَسَنَ مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَ، وَأَنْتَ مُهَذَّبٌ بِقَدْرِ مَا أَنْتَ حَسَنُ الْمَظْهَرِ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ. سَوْفَ أَتَنَحَّى جَانِبًا وَأَدَعُكَ تَدْخُلُ قَبْلِي لِأُبَيِّنَ لَكَ كَمْ أُقَدِّرُ صَدَاقَتَكَ.»

ضَحِكَ جيمي وَقَالَ: «أَظُنُّكَ نَسِيتَ قَوْلًا مَأْثُورًا آخَرَ مَفَادُهُ أَنَّ الْعُمُرَ قَبْلَ الْجَمَالِ، أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي. ادْخُلْ أَنْتَ أَوَّلًا، فَكَمَا تَعْرِفُ أَنْتَ أَكْبَرُ مِنِّي سِنًّا، وَأَنَا أَخْلَاقِي تَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَدْخُلَ قَبْلَكَ؛ حَقًّا يَسْتَحِيلُ أَنْ أَتَصَرَّفَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ.»

وَهَكَذَا، أَخَذَا يَتَجَادَلَانِ وَيَتَجَادَلَانِ، وَكِلَاهُمَا يُصِرُّ بِمُنْتَهَى الْأَدَبِ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ الْآخَرُ قَبْلَهُ. وَلِلْحَقِّ، لَمْ يَكُنْ إِصْرَارُ أَيٍّ مِنْهُمَا نَابِعًا مِنَ الْأَدَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. حَقًّا، لَيْسَ لِلْأَدَبِ صِلَةٌ بِالْأَمْرِ. لَقَدْ أَرَادَ جيمي أَنْ يَدْخُلَ الْعَمُّ بيلي أَوَّلًا لِأَنَّهُ يُؤْثِرُ السَّلَامَةَ؛ إِذْ خَطَرَ عَلَى بَالِهِ أَنَّهُ رُبَّمَا … رُبَّمَا يَكُونُ ثَمَّةَ فَخٌّ دَاخِلَ الْحُفْرَةِ، وَإِذَا كَانَ ثَمَّةَ فَخٌّ، كَانَ جيمي يُفَضِّلُ أَنْ يَكُونَ الْعَمُّ بيلي هُوَ أَوَّلَ مَنْ يَكْتَشِفُهُ. حَقًّا، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبَ وَرَاءَ أَدَبِ جيمي الْجَمِّ.

أَمَّا الْعَمُّ بيلي، فَكَانَ يَرْغَبُ فِي أَنْ يَدْخُلَ جيمي أَوَّلًا لِأَنَّهُ دَائِمًا مَا يَشْعُرُ بِالْأَمَانِ وَهُوَ خَلْفَ جيمي أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ أَمَامَهُ؛ فَقَدْ كَانَ الْعَمُّ بيلي يُكِنُّ احْتِرَامًا شَدِيدًا لِكِيسِ الرَّائِحَةِ الصَّغِيرِ الَّذِي يَحْمِلُهُ الظَّرِبَانُ جيمي، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ جيمي حِينَ يَسْتَخْدِمُ هَذِهِ الرَّائِحَةَ فَإِنَّهُ يَنْفُثُهَا إِلَى الْأَمَامِ وَلَيْسَ إِلَى الْخَلْفِ. نَادِرًا مَا يَسْتَخْدِمُ جيمي ذَلِكَ الْكِيسَ، لَكِنَّهُ يَسْتَخْدِمُهُ أَحْيَانًا، حِينَ يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ وَيَظُنُّ الْخَطَرَ قَرِيبًا؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَمُّ بيلي يُفَضِّلُ أَنْ يَتَقَدَّمَهُ جيمي؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ أَدَبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ جَانِبِ الْعَمِّ بيلي. فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ، كَانَتْ رَغْبَةُ كُلٍّ مِنْ جيمي وَالْعَمِّ بيلي فِي أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ نَوْعًا مِنَ الْأَنَانِيَّةِ؛ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ.

وَمَنْ يَدْرِي كَمْ كَانَ سَيَطُولُ جِدَالُهُمَا وَتَظَاهُرُهُمَا بِالْأَدَبِ لَوْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ، وَلَكِنَّ شَيْئًا مَا حَدَثَ؛ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى آذَانِهِمَا صَوْتُ اسْتِنْشَاقٍ عَالٍ قَادِمٌ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ، وَكَانَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر مَصْدَرَ هَذَا الصَّوْتِ. هُنَالِكَ، نَسِيَ كُلٌّ مِنَ الْعَمِّ بيلي وَالظَّرِبَانِ جيمي كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْأَدَبِ، وَحَاوَلَ كِلَاهُمَا دُخُولَ الْحُفْرَةِ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا لِأَنَّ الْحُفْرَةَ لَمْ تَكُنْ بِالاتِّسَاعِ الْكَافِي، وَلَكِنَّهُمَا حَاوَلَا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِمَا. ثُمَّ تَشَمَّمَ باوزر الْهَوَاءَ مَرَّةً أُخْرَى، وَفِي تِلْكَ الْمَرَّةِ نَجَحَ الْعَمُّ بيلي فِي حَشْرِ جيمي جَانِبًا وَانْسَلَّ هَارِبًا، وَجَرَى جيمي فِي أَعْقَابِهِ.

الفصل السابع عشر

الظَّرِبَانُ جيمي يَتَلَقَّى ضَرْبَةً

مَا كَادَ جيمي يَدْخُلُ الْحُفْرَةَ أَسْفَلَ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون — فِي أَعْقَابِ الْعَمِّ بيلي — حَتَّى أَتَى كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر، مُتَشَمِّمًا الْهَوَاءَ حَتَّى أَشْعَرَ الْعَمَّ بيلي بِالتَّوَتُّرِ، وَحِينَ وَصَلَ باوزر إِلَى هَذِهِ الْحُفْرَةِ، شَمَّ آثَارَ الْعَمِّ بيلي وَجيمي بِالطَّبْعِ، وَأَثَارَتْهُ رَائِحَتُهُمَا عَلَى الْفَوْرِ؛ فَبَدَأَ فِي الْحَفْرِ. وَلَكَمْ تَطَايَرَ التُّرَابُ مِنْ سُرْعَةِ حَفْرِهِ! وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانَ يَعْوِي مِنْ فَرْطِ اللَّهْفَةِ.

لَمْ يُضِعِ الْعَمُّ بيلي وَقْتًا قَبْلَ أَنْ يَحْشُرَ نَفْسَهُ دَاخِلَ حُفْرَةٍ فِي أَرْضِيَّةِ الْحَظِيرَةِ عِنْدَ رُكْنٍ بَعِيدٍ، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَنْوِي تَثْبِيتَ لَوْحٍ عَلَيْهَا مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ، وَكَانَ الْعَمُّ بيلي يَعْرِفُ أَنَّ باوزر لَنْ يَسْتَطِيعَ الدُّخُولَ عَبْرَ هَذِهِ الْحُفْرَةِ حَتَّى لَوْ نَجَحَ فِي حَفْرِ طَرِيقٍ تَحْتَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ وَالْمُرُورِ مِنْهُ. وَمَا إِنْ نَفَذَ الْعَمُّ بيلي مِنْ هَذِهِ الْحُفْرَةِ، وَدَخَلَ حَظِيرَةَ الدَّجَاجِ حَتَّى أَخَذَ نَفَسًا طَوِيلًا؛ فَقَدْ شَعَرَ بِالْأَمَانِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْوِي الْقَلَقَ بِشَأْنِ الْمُسْتَقْبَلِ.

انْدَفَعَ جيمي فِي أَعْقَابِ الْعَمِّ بيلي. لَمْ يَكُنِ الْخَوْفُ هُوَ مَا دَفَعَهُ إِلَى أَنْ يُسْرِعَ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّمَا إِجْفَالُهُ مِنْ ظُهُورِ باوزر الْمُفَاجِئِ، كَانَ هَذَا مَا دَفَعَهُ إِلَى أَنْ يُحَاوِلَ جَاهِدًا الْمُرُورَ أَوَّلًا مِنَ الْحُفْرَةِ أَسْفَلَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ، لَكِنَّهُ مَا إِنْ عَبَرَ الْحُفْرَةَ حَتَّى شَعَرَ بِبَعْضِ الْخَجَلِ مِنْ تَصَرُّفِهِ الْأَهْوَجِ؛ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِنْ باوزر، وَكَانَ يَشْعُرُ

بِرَغْبَةٍ شَدِيدَةٍ فِي أَنْ يَعُودَ أَدْرَاجَهُ لِصَرْفِ باوزر لِشَأْنِهِ، وَكَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُ تَرَاجَعَ. عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، كَانَ الْعَمُّ بيلي قَدْ نَفَذَ مِنْ تِلْكَ الْفُتْحَةِ فِي أَرْضِيَّةِ الْحَظِيرَةِ بِالْفِعْلِ، وَجيمي لَمْ يَنْسَ لِلَحْظَةٍ السَّبَبَ الَّذِي أَتَى بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ؛ لَقَدْ أَتَى مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى الْبَيْضِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْعَمُّ بيلي؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتْرُكَ الْعَمَّ بيلي وَحْدَهُ فِي الْحَظِيرَةِ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ. وَهَكَذَا، فَعَلَ جيمي مَا لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا نَادِرًا جِدًّا؛ أَسْرَعَ الْخُطَى. أَجَلْ، لَقَدْ أَسْرَعَ الْخُطَى وَرَاءَ الْعَمِّ بيلي؛ إِذْ كَانَ يُرِيدُ الِاطْمِئْنَانَ عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ الْبَيْضِ الَّذِي كَانَ وَاثِقًا مِنْ وُجُودِهِ فِي الْحَظِيرَةِ.

كَانَ ثَمَّةَ صَفٌّ مِنْ صَنَادِيقِ التَّعْشِيشِ بِمُحَاذَاةِ أَحَدِ جَوَانِبِ الْحَظِيرَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ، وَفَوْقَهُ صَفٌّ ثَانٍ، ثُمَّ صَفٌّ ثَالِثٌ. لَمْ يَكُنْ جيمي يُجِيدُ التَّسَلُّقَ، وَلَكِنَّ الْعَمَّ بيلي مُتَسَلِّقٌ بَارِعٌ.

قَالَ جيمي: «سَآخُذُ هَذِهِ الْأَعْشَاشَ السُّفْلِيَّةَ.» ثُمَّ رَفَعَ ذَيْلَهُ بِطَرِيقَةٍ جَعَلَتِ الْعَمَّ بيلي يَشْعُرُ بِالتَّوَتُّرِ.

فَرَدَّ الْعَمُّ بيلي عَلَى الْفَوْرِ قَائِلًا: «حَسَنًا، حَسَنًا يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ. لَكَ مَا تُرِيدُ.»

وَهَكَذَا، تَسَلَّقَ الْعَمُّ بيلي إِلَى الصَّفِّ الثَّانِي مِنَ الْأَعْشَاشِ، وَابْتَسَمَ جيمي وَبَدَأَ يَنْظُرُ دَاخِلَ الْأَعْشَاشِ السُّفْلِيَّةِ، مُتَمَهِّلًا كَعَادَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا فِي الْعُشِّ الْأَوَّلِ، وَلَا الثَّانِي، وَلَا الثَّالِثِ، وَأَقَلُّ مَا يُقَالُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ شَيْئًا مُحْبِطًا؛ فَبَدَأَ جيمي يَتَحَرَّكُ أَسْرَعَ قَلِيلًا. فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ، كَانَ الْعَمُّ بيلي يُسْرِعُ مِنْ عُشٍّ إِلَى آخَرَ فِي الصَّفِّ الثَّانِي، وَلَكِنَّ حَظَّهُ لَمْ يَكُنْ أَفْضَلَ مِنْ حَظِّ جيمي. وَحِينَمَا كَانَ جيمي قَدِ انْتَهَى مِنَ الْبَحْثِ دَاخِلَ نِصْفِ أَعْشَاشِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، كَانَ الْعَمُّ بيلي قَدْ بَدَأَ فِي الْبَحْثِ دَاخِلَ أَعْشَاشِ الصَّفِّ الثَّالِثِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ سِوَى بَيْضٍ خَزَفِيٍّ صُلْبٍ، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ وَضَعَهُ هُنَاكَ لِإِغْرَاءِ الدَّجَاجِ بِالرُّقُودِ عَلَى الْبَيْضِ فِي تِلْكَ الْأَعْشَاشِ خَاصَّةً. كَانَتِ الْخَيْبَةُ الَّتِي شَعَرَ بِهَا الْعَمُّ بيلي تُفْقِدُهُ أَعْصَابَهُ؛ فَكُلَّمَا نَظَرَ دَاخِلَ عُشٍّ وَوَجَدَ إِحْدَى هَذِهِ الْبَيْضَاتِ الْخَزَفِيَّةِ، كَانَ يَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ بَيْضَةً حَقِيقِيَّةً، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ حِينَ يَكْتَشِفُ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ، كَانَ يَزْدَادُ غَضَبًا.

فِي النِّهَايَةِ، فَقَدَ أَعْصَابَهُ تَمَامًا حَتَّى إِنَّهُ حِينَ رَأَى بَيْضَةً أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ الْبَيْضِ الْخَزَفِيِّ، رَكَلَهَا فِي غَضَبٍ خَارِجَ الْعُشِّ. فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، تَصَادَفَ أَنْ كَانَ جيمي تَحْتَهُ تَمَامًا، فَسَقَطَتِ الْبَيْضَةُ الْخَزَفِيَّةُ الصُّلْبَةُ عَلَى رَأْسِ جيمي مُبَاشَرَةً، وَلِلَحْظَةٍ شَعَرَ جيمي أَنَّهُ يَرَى

نُجُومًا أَمَامَ عَيْنَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ هَكَذَا ظَنَّ عَلَى الْأَقَلِّ. بَعْدَ ذَلِكَ، رَأَى الْبَيْضَةَ، وَأَدْرَكَ أَنَّ الْعَمَّ بيلي أَسْقَطَهَا، وَأَنَّ هَذِهِ الْبَيْضَةَ هِيَ مَا اصْطَدَمَ بِرَأْسِهِ. كَانَ حَزِينًا لِأَنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلَى أَيِّ بَيْضٍ، كَمَا كَانَتِ الضَّرْبَةُ الَّتِي تَلَقَّاهَا عَلَى رَأْسِهِ تُؤْلِمُهُ. وَهَكَذَا، فَقَدَ الظَّرِبَانُ جيمي أَعْصَابَهُ، وَهُوَ شَيْءٌ نَادِرًا مَا يَحْدُثُ لَهُ.

الفصل الثامن عشر

شِجَارٌ مُؤْسِفٌ حَقًّا

جَلَسَ الظَّرِبَانُ جيمي عَلَى أَرْضِيَّةِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ، وَأَخَذَ يَحُكُّ رَأْسَهُ وَيَنْظُرُ شَذَرًا إِلَى الصَّفِّ الْعُلْوِيِّ مِنَ الْأَعْشَاشِ بِعَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ مِنْ فَرْطِ الْغَضَبِ. كَانَ الظَّلَامُ دَامِسًا بِالطَّبْعِ فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لِأَنَّ الْوَقْتَ كَانَ لَيْلًا، لَكِنَّ جيمي يُمْكِنُهُ الرُّؤْيَةُ فِي الظَّلَامِ، مَثَلُهُ مَثَلُ الْكَثِيرِ مِنَ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةِ الْأُخْرَى الْمَكْسُوَّةِ بِالْفَرْوِ. فَمَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنَاهُ كَانَ وَجْهَ الْعَمِّ بيلي الْقَلِقِ وَهُوَ يُحَمْلِقُ فِيهِ.

قَالَ جيمي فِي حِدَّةٍ: «لَقَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا! لَقَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا، لَا تَقُلْ لِي إِنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ.»

فَاحْتَجَّ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا: «أُقْسِمُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا. كَانَ ذَلِكَ حَادِثًا، حَادِثًا بِالتَّأْكِيدِ، وَأَنَا آسِفٌ جِدًّا لِذَلِكَ.»

قَالَ جيمي، الَّذِي كَانَ يَزْدَادُ غَضَبًا كُلَّ لَحْظَةٍ: «هَذَا الْكَلَامُ يَبْدُو لَطِيفًا، لَكِنِّي لَا أُصَدِّقُ حَرْفًا مِنْهُ. لَقَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا، وَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تُقْنِعَنِي بِأَيِّ شَيْءٍ عَكْسِ ذَلِكَ؛ فَلْتَنْزِلْ إِلَى هُنَا وَتُقَاتِلْنِي. أَتَحَدَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ.»

بَدَأَ الْعَمُّ بيلي يَغْضَبُ. بِالطَّبْعِ، كَانَ سُقُوطُ الْبَيْضَةِ خَطَأَهُ، لَكِنَّ وُجُودَ جيمي أَسْفَلَهُ مُبَاشَرَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ ذَنْبَهُ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ جيمي هُنَاكَ، كَمَا أَنَّهُ اعْتَذَرَ، وَشَعَرَ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. لَقَدْ شَكَّ جيمي فِي صِدْقِ كَلَامِهِ، وَأَبَى أَنْ يُصَدِّقَهُ، وَهَذَا أَغْضَبَهُ؛ فَصَارَ الشَّرَرُ يَتَطَايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ الضَّيِّقَتَيْنِ.

انْفَجَرَ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا: «إِذَا كُنْتَ تَرْغَبُ فِي قِتَالِي، فَلْتَصْعَدْ إِلَى هُنَا، سَأَنْتَظِرُكَ هَا هُنَا حَيْثُ أَنَا.»

فَاسْتَشَاطَ جيمي غَضَبًا. لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ الصُّعُودُ إِلَى أَعْلَى، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الْعَمَّ بيلي يَعْلَمُ ذَلِكَ جَيِّدًا؛ فَكَانَ الْعَمُّ بيلي آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ تَمَامًا وَهُوَ يَعِدُهُ بِالِانْتِظَارِ فِي مَكَانِهِ بِالْأَعْلَى.

قَالَ جيمي فِي حِدَّةٍ: «أَنْتَ جَبَانٌ، مُجَرَّدُ شَخْصٍ جَبَانٍ تَافِهٍ. لَنْ أَصْعَدَ إِلَيْكَ، لَكِنْ إِلَيْكَ مَا سَأَفْعَلُهُ؛ سَوْفَ أَنْتَظِرُ هُنَا فِي مَكَانِي بِالْأَسْفَلِ إِلَى أَنْ تَنْزِلَ، حَتَّى لَوِ انْتَظَرْتُ عَامًا. مَا مِنْ أَحَدٍ يُسْقِطُ الْأَشْيَاءَ عَلَى رَأْسِي وَيَنْجُو بِفَعْلَتِهِ. لَقَدْ ظَنَنْتُكَ صَدِيقِي، لَكِنِّي الْآنَ أَدْرَكْتُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ.»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا وَهُوَ يَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيُطْبِقُ فَكَّيْهِ: «انْتَظِرْ كَمَا يَحْلُو لَكَ، أَظُنُّنِي أَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ هُنَا بِقَدْرِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ.»

فَقَالَ جيمي: «افْعَلْ مَا تَشَاءُ، فَسَأَجْعَلُكَ تَدْفَعُ ثَمَنَ ضَرْبِي عَلَى رَأْسِي. الْوَيْلُ لَكَ مِنِّي.»

وَهَكَذَا، رَاحَ الِاثْنَانِ يَتَشَاجَرَانِ، وَيَسُبُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ غَافِلَيْنِ عَنْ أَنَّهُمَا مَوْجُودَانِ حَيْثُ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَكُونَا. كَانَ الْوَضْعُ سَيِّئًا لِلْغَايَةِ، وَكَانَ سَبَبُ كُلِّ ذَلِكَ شُعُورَهُمَا بِخَيْبَةِ الْأَمَلِ؛ حَيْثُ إِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا أَيَّ بَيْضٍ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَا وَاثِقَيْنِ مِنْ أَنَّهُمَا سَيَعْثُرَانِ فِيهِ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْبَيْضِ؛ فَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ جَمَعَ كُلَّ الْبَيْضِ حِينَ أَغْلَقَ الْحَظِيرَةَ عَلَى الدَّجَاجِ عِنْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. هَلْ لَاحَظْتَ مِنْ قَبْلُ تَأْثِيرَ خَيْبَةِ الْأَمَلِ السَّيِّئَ عَلَى الْمِزَاجِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ؟

الفصل التاسع عشر

جيمي يَصْدُقُ فِي وَعْدِهِ

قَضَى الْعَمُّ بيلي لَيْلَةً لَيْلَاءَ بِسَبَبِ مَا حَدَثَ؛ فَحِينَ أَنْهَكَهُ الشِّجَارُ مَعَ الظَّرِبَانِ جيمي، حَاوَلَ أَنْ يَغْفُوَ قَلِيلًا. فِي الْبِدَايَةِ، حَاوَلَ النَّوْمَ فِي أَحَدِ الْأَعْشَاشِ، ثُمَّ آخَرَ، لَكِنَّ أَيًّا مِنَ الْعُشَّيْنِ لَمْ يُنَاسِبْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ إِلَى حَدٍّ مَا يَعُودُ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالنُّعَاسِ مُطْلَقًا. كَانَ جَائِعًا وَرَاغِبًا عَنِ النَّوْمِ تَمَامًا، وَكَانَ يَتَمَنَّى مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ لَوْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ بِحُمْقٍ لِنَوْبَةِ الْغَضَبِ الْمُفَاجِئَةِ تِلْكَ الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى رَكْلِ الْبَيْضَةِ الْخَزَفِيَّةِ خَارِجَ الْعُشِّ لِتَسْقُطَ عَلَى رَأْسِ الظَّرِبَانِ جيمي؛ مِمَّا جَعَلَ جيمي يَثُورُ غَضَبًا.

لَمْ تَكُنْ لَدَى الْعَمِّ بيلي أَيَّةُ نِيَّةٍ فِي النُّزُولِ بَيْنَمَا جيمي يَنْتَظِرُهُ بِالْأَسْفَلِ، وَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ سُرْعَانَ مَا سَيَمَلُّ وَيَرْحَلُ؛ لِذَا لَمْ يَشْعُرِ الْعَمُّ بيلي بِالْقَلَقِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، لَكِنَّهُ — مَعَ اقْتِرَابِ الصَّبَاحِ — بَدَأَ يَشْعُرُ بِالتَّوَتُّرِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَجِدَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي الْحَظِيرَةِ حِينَ يَأْتِي لِيُطْعِمَ الدَّجَاجَ.

عِلَاوَةً عَلَى أَنَّهُ كَانَ جَائِعًا. كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَجِدُ وَجْبَةً شَهِيَّةً مِنَ الْبَيْضِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ وَلَوْ بَيْضَةً وَاحِدَةً، فَصَارَ يَرْغَبُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لِلْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ يَأْكُلُهُ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ ذَلِكَ دُونَ مُوَاجَهَةِ جيمي، وَهُوَ كَانَ يُفَضِّلُ الْجُوعَ عَنْ ذَلِكَ. نَعَمْ؛ كَانَ الْجُوعُ أَفْضَلَ كَثِيرًا مِنْ مُوَاجَهَةِ جيمي، وَقَدْ حَاوَلَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، حِينَ ظَنَّ أَنَّ جيمي نَائِمٌ، أَنْ يَتَسَلَّلَ هَارِبًا، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى أَلَّا يُصْدِرَ صَوْتًا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، لَكِنَّ جيمي كَانَ يَشْعُرُ بِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَيَنْتَظِرُ نُزُولَهُ. كَانَ الْعَمُّ بيلي يَتَمَنَّى لَوْ لَمْ تُوجَدْ حَظِيرَةُ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَوْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْبَيْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَخَذَ يَتَمَنَّى كَثِيرًا مِنَ الْأُمْنِيَّاتِ

الْحَمْقَاءِ الْأُخْرَى، لَكِنَّ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّاهُ هُوَ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَفْقِدْ أَعْصَابَهُ وَيَرْكُلْ تِلْكَ الْبَيْضَةَ الَّتِي سَقَطَتْ عَلَى رَأْسِ جيمي. وَحِينَ تَسَلَّلَ أَوَّلُ شُعَاعٍ مِنَ النُّورِ مِنْ تَحْتِ بَابِ الْحَظِيرَةِ وَبَدَأَتْ حَرَكَةُ الدَّجَاجِ الْقَلِقَةُ فِي مَسَاكِنِهِ، لَمْ يَعُدْ قَلَقُ الْعَمِّ بيلي يَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يَبْقَى سَاكِنًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ مُجَازِفًا: «أَلَا تَرَى أَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ لِكِلَيْنَا أَنْ نَتَصَالَحَ وَنَخْرُجَ مِنْ هُنَا يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ؟»

فَرَدَّ جيمي، نَاظِرًا إِلَى أَعْلَى حَيْثُ الْعَمُّ بيلي نَظْرَةً جَعَلَتِ الْأَخِيرَ «غَيْرَ مُرْتَاحٍ» عَلَى الْإِطْلَاقِ، قَائِلًا: «أَنَا لَا أُمَانِعُ فِي الْبَقَاءِ هُنَا؛ فَالْمَكَانُ مُرِيحٌ جِدًّا.» كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ تَمَامًا أَنَّ جيمي لَمْ يُسَامِحِ الْعَمَّ بيلي.

ظَلَّ الْعَمُّ بيلي صَامِتًا لِبَعْضِ الْوَقْتِ، لَكِنَّ قَلَقَهُ كَانَ فِي ازْدِيَادٍ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ عَمَّا قَرِيبٍ سَيَحِينُ وَقْتُ قُدُومِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون لِإِخْرَاجِ الدَّجَاجِ وَإِطْعَامِهِ. وَأَخِيرًا أَقْدَمَ عَلَى الْحَدِيثِ مَرَّةً أُخْرَى.

فَقَالَ الْعَمُّ بيلي: «أَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدْ نَسِيتَ شَيْئًا.»

فَقَالَ جيمي مُتَسَائِلًا: «مَا هُوَ؟»

رَدَّ الْعَمُّ بيلي: «أَعْتَقِدُ أَنَّكَ غَافِلٌ عَنْ أَنَّ وَقْتَ قُدُومِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون قَدْ حَانَ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَجِدَنَا هُنَا.»

رَدَّ جيمي فِي حِدَّةٍ: «إِنَّنِي لَا أَكْتَرِثُ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون، فَلْيَأْتِ مَتَى يَشَاءُ.» ثُمَّ ابْتَسَمَ.

كَانَ ذَلِكَ يَبْدُو تَفَاخُرًا أَجْوَفَ مِنْ جَانِبِ جيمي، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ. نَعَمْ؛ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْعَمُّ بيلي يَعْرِفُ ذَلِكَ، كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ جيمي يَعْنِي مَا قَالَهُ. هَكَذَا، شَعَرَ الْعَمُّ بيلي بِالْيَأْسِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ عَلَى الْبَقَاءِ حَيْثُ هُوَ، وَلَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ كَذَلِكَ عَلَى النُّزُولِ وَمُوَاجَهَةِ جيمي. بِالتَّأْكِيدِ كَانَتْ تِلْكَ إِحْدَى أَسْوَأِ اللَّيَالِي الَّتِي مَرَّتْ عَلَى الْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ.

الفصل العشرون

وُصُولُ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون

تَسَلَّلَ مَزِيدٌ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ مِنْ تَحْتِ بَابِ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الدَّجَاجُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، وَقَدِ اكْتَشَفَ الدَّجَاجُ وُجُودَ الظَّرِبَانِ جيمي بِالْأَسْفَلِ، فَأَحْدَثَ جَلَبَةً كَبِيرَةً. كَانَ قَوْقُ الدَّجَاجِ مُرْتَفِعًا جِدًّا، حَتَّى إِنَّ الْعَمَّ بيلي كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سُرْعَانَ مَا سَيَسْمَعُهُ وَيَأْتِي لِيَعْرِفَ سَبَبَ كُلِّ تِلْكَ الْجَلَبَةِ.

جَازَفَ الْعَمُّ بيلي قَائِلًا: «أَعْتَقِدُ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ، أَنَّكَ إِذَا مَا غَادَرْتَ، فَإِنَّ هَذَا الدَّجَاجَ الْأَحْمَقَ سَيَكُفُّ عَنْ ضَوْضَائِهِ.»

رَدَّ جيمي قَائِلًا: «لَا أُبَالِي بِضَوْضَاءِ الدَّجَاجِ، إِنَّهَا لَا تُزْعِجُنِي عَلَى الْإِطْلَاقِ.» ثُمَّ ابْتَسَمَ. كَانَ وَاضِحًا تَمَامًا لِلْعَمِّ بيلي أَنَّ جيمي مُسْتَمْتِعٌ بِالْمَوْقِفِ.

لَكِنَّ الْعَمَّ بيلي لَمْ يَكُنْ مُسْتَمْتِعًا، كَانَ قَلِقًا جِدًّا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَقَاءَ سَاكِنًا، وَأَخَذَ يَذْرَعُ الرَّفَّ الْمُقَابِلَ لِلصَّفِّ الْعُلْوِيِّ مِنَ الْأَعْشَاشِ جِيئَةً وَذَهَابًا، مُحَاوِلًا أَنْ يُقَرِّرَ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَنْزِلَ وَيُوَاجِهَ الظَّرِبَانَ جيمي أَمْ أَنْ يَخْتَبِئَ تَحْتَ الْقَشِّ فِي أَحَدِ الْأَعْشَاشِ. وَطَوَالَ الْوَقْتِ ظَلَّ مُصِيخًا السَّمْعَ تَرَقُّبًا لِسَمَاعِ خُطُوَاتِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

وَفِي النِّهَايَةِ سَمِعَهَا، وَأَدْرَكَ مِنْ صَوْتِهَا أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون آتٍ عَلَى عَجَلٍ؛ فَكَانَ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ الْجَلَبَةِ الَّتِي أَحْدَثَهَا الدَّجَاجُ، وَأَتَى لِيَعْرِفَ سَبَبَهَا. وَتَمَنَّى الْعَمُّ بيلي أَنْ يَنْسَحِبَ جيمي إِلَى دَاخِلِ الْحُفْرَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْأَرْضِ لِيُتِيحَ لَهُ فُرْصَةً لِلْهَرَبِ.

هَمَسَ الْعَمُّ بيلي: «إِنَّهُ آتٍ! ابْنُ الْمُزَارِعِ براون آتٍ يَا صَدِيقِيَ الظَّرِبَانُ! عَلَيْكَ أَنْ تَهْرُبَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.»

رَدَّ جيمي بِهُدُوءٍ قَائِلًا: «أَنَا أَسْمَعُهُ، وَأَنْتَظِرُ مَجِيئَهُ لِيَفْتَحَ لِيَ الْبَابَ لِأَخْرُجَ مِنْ هُنَا؛ فَهَذَا أَسْهَلُ كَثِيرًا مِنْ أَنْ أَحْشُرَ نَفْسِي فِي هَذِهِ الْفُتْحَةِ الضَّيِّقَةِ.»

شَهَقَ الْعَمُّ بيلي. كَانَ يَعْرِفُ بِالطَّبْعِ أَنَّ عَدَمَ خَوْفِ جيمي مِنْ أَحَدٍ هُوَ مَحَلُّ فَخْرِهِ، لَكِنْ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ جيمي كَانَتْ لَدَيْهِ النِّيَّةُ حَقًّا فِي مُوَاجَهَةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْخَاصَّةِ بِهِ حَيْثُ لَا شَأْنَ لِجيمي، وَتَمَنَّى الْعَمُّ بيلي أَنْ تُؤَدِّيَ جُرْأَةُ الظَّرِبَانِ جيمي إِلَى وُقُوعِهِ أَخِيرًا فِي الْمَتَاعِبِ. نَعَمْ؛ تَمَنَّى ذَلِكَ؛ حَيْثُ إِنَّ هَذَا قَدْ يَمْنَحُهُ فُرْصَةً لِلتَّسَلُّلِ هَرَبًا، وَإِلَّا فَسَيَكُونُ هُوَ نَفْسُهُ فِي مَأْزِقٍ بَالِغٍ.

اهْتَزَّ مِزْلَاجُ بَابِ الْحَظِيرَةِ، فَتَسَلَّلَ الْعَمُّ بيلي إِلَى دَاخِلِ أَحَدِ الْأَعْشَاشِ، لَكِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ اخْتِلَاسِ النَّظَرِ مِنْ فَوْقِ الْحَافَةِ لِيُشَاهِدَ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ. انْفَتَحَ الْبَابُ، فَأَغْرَقَ ضَوْءُ النَّهَارِ الْحَظِيرَةَ. كَفَّ الدَّجَاجُ عَنْ ضَوْضَائِهِ، وَوَقَفَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي الْمَدْخَلِ وَأَلْقَى نَظْرَةً دَاخِلَ الْحَظِيرَةِ، فَرَفَعَ الظَّرِبَانُ ذَيْلَهُ الْكَبِيرَ الشَّبِيهَ بِالرِّيشِ أَعْلَى قَلِيلًا مِنَ الْمُعْتَادِ، وَسَارَ فِي هُدُوءٍ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَيْهِ اسْتِعْجَالٌ تِجَاهَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ مُبَاشَرَةً. وَقَدْ رَآهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى الْفَوْرِ طَبْعًا.

صَاحَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا: «إِنَّهُ أَنْتَ إِذَنْ، أَيُّهَا الْوَغْدُ ذُو اللَّوْنَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ! أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَتَوَقَّعُ مِنِّي أَنْ أَتَنَحَّى جَانِبًا وَأُفْسِحَ لَكَ الطَّرِيقَ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا هُوَ بِالضَّبْطِ مَا سَأَفْعَلُهُ. أَنْتَ أَكْثَرُ مَنْ أَعْرِفُهُمْ وَقَاحَةً وَاعْتِمَادًا عَلَى النَّفْسِ؛ تِلْكَ حَقِيقَتُكَ. لَمْ تَحْصُلْ عَلَى أَيِّ بَيْضٍ؛ لِأَنَّنِي جَمَعْتُهُ كُلَّهُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ، وَلَمْ تَأْخُذْ أَيَّ دَجَاجٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِلْبَقَاءِ فِي مَسْكَنِهِ؛ لِذَا لَا أَظُنُّنِي فِي نِزَاعٍ مَعَكَ، وَأَنَا وَاثِقٌ مِنْ عَدَمِ رَغْبَتِي فِي مُنَازَعَتِكَ؛ فَهَيَّا اخْرُجْ مِنْ هُنَا أَيُّهَا الْوَغْدُ.»

تَنَحَّى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون جَانِبًا، وَخَرَجَ الظَّرِبَانُ جيمي بِهُدُوءٍ وَدُونَ أَدْنَى اسْتِعْجَالٍ أَوْ قَلَقٍ، وَتَوَقَّفَ لِيَشْرَبَ مِنْ إِنَاءِ الْمَاءِ فِي فِنَاءِ الْحَظِيرَةِ، ثُمَّ عَبَرَ بَوَّابَةَ الْفِنَاءِ، وَاتَّجَهَ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عَلَى أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ.

الْبَيْضَةُ تَفْضَحُ الْعَمَّ بيلي

هِيَ أَشْيَاءُ صَغِيرَةٌ كَثِيرًا مَا تَبْدُو تَافِهَةً قَدْ يَتَّضِحُ فِي النِّهَايَةِ أَنَّ عَوَاقِبَهَا وَخِيمَةٌ.

أَخَذَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُرَاقِبُ الظَّرِبَانَ جيمي وَهُوَ مَاضٍ فِي سَبِيلِهِ فِي هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ، فَابْتَسَمَ، ثُمَّ حَكَّ رَأْسَهُ مُتَأَمِّلًا وَقَالَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا أَفْضَلُ مِثَالٍ عَلَى قِيمَةِ الِاسْتِعْدَادِ. لَقَدْ كَانَ جيمي وَاثِقًا مِنْ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ تَمَامَ الِاسْتِعْدَادِ لِمُوَاجَهَةِ الْمَتَاعِبِ إِذَا قَرَّرْتُ أَنَا إِثَارَتَهَا، وَإِنِّي لِذَلِكَ لَمْ أَكُنْ لِأُثِيرَهَا؛ لِذَا غَادَرَ الْمَكَانَ فِي هُدُوءٍ كَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنِّي حَجْمًا بِقَدْرِ مَا أَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ. لَا يُوجَدُ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعِدًّا إِذَا كُنْتَ تَرْغَبُ فِي تَجَنُّبِ الْمَتَاعِبِ.»

بَعْدَ ذَلِكَ، عَادَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ مَرَّةً أُخْرَى وَدَخَلَهَا، ثُمَّ أَلْقَى نَظْرَةً لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الْحَمَاقَةَ لَمْ تَصِلْ بِإِحْدَى الدَّجَاجَاتِ إِلَى أَنْ تَنَامَ حَيْثُ كَانَ جيمي يَسْتَطِيعُ الْإِمْسَاكَ بِهَا. وَبَعْدَ التَّأَكُّدِ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ سَيَشْرَعُ فِي مَهَمَّةِ إِطْعَامِ الدَّجَاجِ الصَّبَاحِيَّةِ الْمُعْتَادَةِ، لَوْلَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَكَانَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ الْبَيْضَةَ الْخَزَفِيَّةَ الْمُلْقَاةَ عَلَى الْأَرْضِ.

صَاحَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون حِينَ رَأَى الْبَيْضَةَ: «عَجَبًا! كَيْفَ أَتَتْ هَذِهِ الْبَيْضَةُ إِلَى هُنَا؟ لَا بُدَّ أَنَّ الظَّرِبَانَ جيمي سَحَبَهَا مِنْ أَحَدِ الْأَعْشَاشِ السُّفْلِيَّةِ هَذِهِ.»

كَانَ الصَّبِيُّ يَعْرِفُ الْأَعْشَاشَ الَّتِي يُوجَدُ بِهَا الْبَيْضُ الْخَزَفِيُّ، فَلَمْ يَسْتَغْرِقْ سِوَى دَقِيقَةٍ لِاكْتِشَافِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَيُّ بَيْضٍ مَفْقُودٍ مِنَ الْأَعْشَاشِ السُّفْلِيَّةِ؛ فَتَمْتَمَ قَائِلًا: «هَذَا غَرِيبٌ، لَا بُدَّ أَنَّ هَذِهِ الْبَيْضَةَ جَاءَتْ مِنْ أَحَدِ الْأَعْشَاشِ الْعُلْوِيَّةِ. إِنَّ جيمي لَمْ يَتَمَكَّنْ بِالتَّأْكِيدِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ الْأَعْشَاشِ بِالْأَعْلَى، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أَيَّةُ دَجَاجَةٍ قَدْ أَسْقَطَتْهَا لَيْلَةَ

أَمْسِ؛ لِأَنَّ الدَّجَاجَ كُلَّهُ كَانَ فِي مَسَاكِنِهِ حِينَ أَغْلَقْتُ عَلَيْهِ الْحَظِيرَةَ أَمْسِ، وَبِالتَّأْكِيدِ لَمْ يَفْعَلِ الدَّجَاجُ ذَلِكَ هَذَا الصَّبَاحَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْرُؤَ عَلَى مُغَادَرَةِ مَسَاكِنِهِ مَعَ وُجُودِ الظَّرِبَانِ جيمي هُنَا. عَلَيَّ أَنْ أَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.»

لِذَا، بَدَأَ بِالصَّفِّ الثَّانِي وَأَخَذَ يَنْظُرُ دَاخِلَ كُلِّ عُشٍّ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى الصَّفِّ الْعُلْوِيِّ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعُشِّ الَّذِي يَخْتَبِئُ بِهِ الْعَمُّ بيلي الْأَبُوسُومُ تَحْتَ الْقَشِّ حَابِسًا أَنْفَاسَهُ. كَانَ الْعَمُّ بيلي قَدْ غَطَّى نَفْسَهُ جَيِّدًا بِالْقَشِّ، لَكِنَّهُ نَسِيَ شَيْئًا وَاحِدًا، لَقَدْ نَسِيَ ذَيْلَهُ. أَجَلْ؛ لَقَدْ نَسِيَ الْعَمُّ بيلي تَغْطِيَةَ ذَيْلِهِ، فَكَانَ مُتَدَلِّيًا مِنْ عَلَى حَافَةِ الْعُشِّ، وَبِالطَّبْعِ رَآهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون. لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَفرٌّ مِنْ أَنْ يَرَاهُ.

فَصَاحَ قَائِلًا: «عَجَبًا! عَجَبًا! إِذَنْ كَانَ ثَمَّةَ أَكْثَرُ مِنْ زَائِرٍ لَيْلَةَ أَمْسِ، يَبْدُو أَنَّ حَظِيرَةَ الدَّجَاجِ هَذِهِ لَهَا شَعْبِيَّةٌ كَبِيرَةٌ. أَعْتَقِدُ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ عَلَيَّ الْقِيَامُ بِهِ بَعْدَ تَنَاوُلِ إِفْطَارِي هُوَ تَثْبِيتُ لَوْحٍ عَلَى هَذِهِ الْفُتْحَةِ فِي الْأَرْضِيَّةِ. إِنَّهُ أَنْتَ إِذَنْ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي مَنْ رَكَلَ الْبَيْضَةَ الْخَزَفِيَّةَ خَارِجَ الْعُشِّ؛ وَجَدْتَهَا قَاسِيَةً قَلِيلًا عَلَى أَسْنَانِكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَقَدْتَ أَعْصَابَكَ وَرَكَلْتَهَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ هَذَا حُمْقٌ مِنْكَ أَيُّهَا الْعَمُّ بيلي، حُمْقٌ بَالِغٌ فِعْلًا. لَا تَفْقِدْ أَعْصَابَكَ أَبَدًا بِسَبَبِ تَفَاهَاتٍ؛ فَهَذَا لَا يُجْدِي نَفْعًا. وَالْآنَ، تُرَى مَا الَّذِي يَنْبَغِي لِي أَنْ أَفْعَلَهُ بِكَ؟»

طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَمْ يُحَرِّكِ الْعَمُّ بيلي سَاكِنًا. بِالطَّبْعِ، لَمْ يَكُنْ يُمْكِنُهُ فَهْمُ مَا يَقُولُهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَلَمْ يُمْكِنْهُ رُؤْيَةُ مَا يَفْعَلُهُ؛ لِذَا كَتَمَ أَنْفَاسَهُ وَأَخَذَ يَتَمَنَّى أَلَّا يَكُونَ أَمْرُهُ قَدِ انْكَشَفَ. وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَلَّا يَنْكَشِفَ أَمْرُهُ لَوْلَا تِلْكَ الْبَيْضَةُ الْخَزَفِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي كَشَفَتْ أَمْرَهُ. لَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْبَيْضَةُ سَبَبَ مَتَاعِبِهِ كُلِّهَا؛ أَوَّلًا أَغْضَبَتِ الظَّرِبَانَ جيمي — كَمَا تَذْكُرُونَ — حِينَ سَقَطَتْ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ دَفَعَتِ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون إِلَى الْبَحْثِ فِي الْأَعْشَاشِ كُلِّهَا. كَانَ رَكْلُ الْبَيْضَةِ خَارِجَ الْعُشِّ يَبْدُو شَيْئًا تَافِهًا، لَكِنِ انْظُرُوا إِلَى عَوَاقِبِهِ. حَقًّا، إِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَبْدُو تَافِهَةً عَادَةً لَا تَكُونُ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ.

الفصل الثاني والعشرون

الْعَمُّ بيلي يُجَرِّبُ حِيلَتَهُ الْقَدِيمَةَ

كَانَ ذَيْلُ الْعَمِّ بيلي هُوَ أَوَّلَ مَا نَبَّهَهُ إِلَى أَنَّ أَمْرَهُ قَدِ انْكَشَفَ ... أَجَلْ، ذَيْلُهُ؛ فَقَدْ قَرَصَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ذَيْلَهُ. كَانَ ذَلِكَ تَصَرُّفًا مَعِيبًا، لَكِنَّ الْفُضُولَ كَانَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الصَّبِيِّ، وَأَرَادَ أَنْ يَرَى مَا سَيَفْعَلُهُ الْعَمُّ بيلي، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَقْرُصْهُ بِقُوَّةٍ، لَيْسَ بِالْقُوَّةِ الْكَافِيَةِ لِإِيلَامِهِ. لَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَطْيَبَ قَلْبًا مِنْ أَنْ يُؤْذِيَ أَيَّ كَائِنٍ إِنْ كَانَ ذَلِكَ بِاسْتِطَاعَتِهِ.

أَيُّ أَحَدٍ آخَرَ مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوْ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ كَانَ سَيَسْحَبُ ذَيْلَهُ فَوْرًا لَوْ كَانَ مَكَانَ الْعَمِّ بيلي، لَكِنَّ الْعَمَّ بيلي لَمْ يَفْعَلْ. أَجَلْ، لَمْ يَفْعَلْ؛ فَمِنْ فَرْطِ سُكُونِهِ كَانَ يَبْدُو كَمَا لَوْ أَنَّ ذَاكَ الذَّيْلَ يَخُصُّ أَحَدًا غَيْرَهُ. لَا شَكَّ أَنَّ الْعَمَّ بيلي شَعَرَ بِرَغْبَةٍ فِي سَحْبِ ذَيْلِهِ؛ فَأَيُّ أَحَدٍ آخَرَ مَكَانَهُ كَانَ سَيَشْعُرُ بِذَلِكَ، لَكِنَّ الْعَمَّ بيلي لَمْ يُحَرِّكْ ذَيْلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ مَا يُثْبِتُ أَنَّ الْعَمَّ بيلي يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَلَّى بِقُدْرَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ حِينَ يُرِيدُ ذَلِكَ.

قَرَصَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ذَيْلَ الْعَمِّ بيلي مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّ الْقَرْصَةَ كَانَتْ أَقْوَى قَلِيلًا مِنْ سَابِقَتِهَا، إِلَّا أَنَّ الْعَمَّ بيلي ظَلَّ سَاكِنًا. ضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ضَحْكَةً خَافِتَةً وَبَدَأَ يَجْذِبُ الذَّيْلَ، وَرَاحَ يَجْذِبُ وَيَجْذِبُ حَتَّى أَخْرَجَ الْعَمَّ بيلي أَخِيرًا مِنْ مَخْبَئِهِ، وَتَأَرْجَحَ جَسَدُ الْعَمِّ بيلي مُتَدَلِّيًا مِنْ ذَيْلِهِ الَّذِي كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مُمْسِكًا بِهِ. لَمْ تَبْدُ أَيُّ عَلَامَةٍ مِنْ عَلَامَاتِ الْحَيَاةِ عَلَى الْعَمِّ بيلي، كَانَ يَبْدُو مَيِّتًا، وَيَتَصَرَّفُ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ. وَلَوْ كَانَ رَآهُ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُهُ لَظَنَّهُ مَيِّتًا فِعْلًا.

أَلْقَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْعَمَّ بيلي عَلَى الْأَرْضِ، فَبَقِيَ حَيْثُ سَقَطَ تَمَامًا، ثُمَّ دَحْرَجَهُ الصَّبِيُّ عَلَى الْأَرْضِ بِقَدَمِهِ، لَكِنَّ الْعَمَّ بيلي لَمْ تَبْدُرْ مِنْهُ أَيَّةُ بَادِرَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ. كَانَ

يَتَمَنَّى أَنْ يَظُنَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنَّهُ مَيِّتٌ حَقًّا، كَانَ ذَلِكَ مَا يُرِيدُ، لَكِنَّ الصَّبِيَّ رَفَعَهُ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى، وَوَضَعَهُ فَوْقَ صُنْدُوقٍ، بَعْدَ أَنْ قَامَ أَوَّلًا بِتَثْبِيتِ لَوْحٍ عَلَى الْفُتْحَةِ فِي الْأَرْضِ وَإِغْلَاقِ بَابِ الْحَظِيرَةِ. بَعْدَ ذَلِكَ، رَاحَ يَقُومُ بِأَعْمَالِهِ الصَّبَاحِيَّةِ مِنْ تَنْظِيفِ الْحَظِيرَةِ وَتَقْدِيمِ الْحُبُوبِ إِلَى الدَّجَاجِ.

تَمَدَّدَ الْعَمُّ بيلي فَوْقَ الصُّنْدُوقِ، وَكَانَ مَنْظَرُهُ مُثِيرًا لِلشَّفَقَةِ حَقًّا؛ فَمَنْظَرُ أَيِّ حَيَوَانٍ أَوْ طَائِرٍ مَيِّتٍ دَائِمًا مَا يَكُونُ مُثِيرًا لِلشَّفَقَةِ، لَكِنَّ مَنْظَرَ الْعَمِّ بيلي وَهُوَ مُمَدَّدٌ عَلَى ذَلِكَ الصُّنْدُوقِ كَانَ الْأَكْثَرَ إِثَارَةً لِلشَّفَقَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. كَانَ شَعْرُهُ أَشْعَثَ — كَحَالِهِ دَائِمًا — وَقَدِ امْتَلَأَ بِالْغُبَارِ وَالْقَشِّ، وَشَفَتَاهُ مَسْحُوبَتَيْنِ وَفَمُهُ مَفْتُوحًا بَعْضَ الشَّيْءِ، وَقَدْ بَدَتْ عَيْنَاهُ مُغْمَضَتَيْنِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَتْ عَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَيْنِ قَلِيلًا جِدًّا بِمَا يَكْفِي لِيُرَاقِبَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، لَكِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ، لَمَا أَمْكَنَكَ سِوَى أَنْ تَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَ«شَبِعَ مَوْتًا».

بَيْنَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَقُومُ بِأَعْمَالِهِ، ظَلَّ يُرَاقِبُ الْعَمَّ بيلي خِلْسَةً وَيَضْحَكُ. قَالَ الصَّبِيُّ: «أَيُّهَا الْمُحْتَالُ الْعَجُوزُ، تَظُنُّ أَنَّ خُدْعَتَكَ انْطَلَتْ عَلَيَّ، لَكِنَّنِي أَعْرِفُكَ جَيِّدًا؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَقْتُلُ حَيَوَانَاتِ الْأَبُوسُومِ فِي أَعْشَاشِ الدَّجَاجِ. أَنْتَ بِالتَّأْكِيدِ وَغْدٌ عَجُوزٌ ذَكِيٌّ، وَأَفْضَلُ مُمَثِّلٍ رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي، تُرَى كَمْ مِنَ الْوَقْتِ سَتَظَلُّ مُتَظَاهِرًا بِحَالِكِ هَذِهِ، أَتَمَنَّى لَوْ كَانَ لَدَيَّ نِصْفُ مَا لَدَيْكَ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ.»

حِينَ أَنْهَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَمَلَهُ، رَفَعَ الْعَمَّ بيلي مِنْ ذَيْلِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَفَتَحَ الْبَابَ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَالْعَمُّ بيلي يَتَدَلَّى مِنْ يَدَيْهِ وَيَرْتَطِمُ بِسَاقَيِ الصَّبِيِّ، إِلَّا أَنَّ الْعَمَّ بيلي ظَلَّ سَاكِنًا لَا يَأْتِي بِعَلَامَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ. كَانَ يَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ عَنِ الْوِجْهَةِ الَّتِي سَيَأْخُذُهُ إِلَيْهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ خَائِفًا جِدًّا، لَكِنَّهُ ظَلَّ مُتَمَسِّكًا بِحِيلَةِ تَظَاهُرِهِ بِالْمَوْتِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي أَفَادَتْهُ كَثِيرًا مَرَّاتٍ عِدَّةً فِيمَا مَضَى.

الفصل الثالث والعشرون

الْعَمُّ بيلي يَكْشِفُ نَفْسَهُ

لَمْ يَسْبِقْ لِلْعَمِّ بيلي أَنْ أَتْقَنَ مُمَارَسَةَ حِيلَتِهِ الْقَدِيمَةِ أَفْضَلَ مِمَّا فَعَلَ فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ، وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَعْرِفُ أَنَّ الْعَمَّ بيلي يَتَظَاهَرُ بِالْمَوْتِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ تَمْثِيلُ الْعَمِّ بيلي بَارِعًا حَتَّى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يُصَدِّقَ مَا يَعْرِفُ أَنَّهُ الْحَقِيقَةُ، وَهُوَ أَنَّ الْعَمَّ بيلي نَابِضٌ بِالْحَيَاةِ، لَكِنَّهُ يَتَحَيَّنُ فُرْصَةً لِلْهُرُوبِ لَا أَكْثَرَ.

كَانَا فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ فِنَاءِ الدَّجَاجِ وَالْمَنْزِلِ حِينَ جَاءَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر لِيَلْتَقِيَ سَيِّدَهُ. قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، بَيْنَمَا باوزر يَأْتِي إِلَيْهِ مُهَرْوِلًا: «الْآنَ، سَنَرَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ؛ إِذَا اسْتَطَاعَ الْعَمُّ بيلي تَحَمُّلَ هَذَا الِاخْتِبَارِ، فَسَأَخْلَعُ لَهُ قُبَّعَتِي كُلَّمَا الْتَقَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.» وَمَدَّ يَدَهُ بِالْعَمِّ بيلي إِلَى باوزر، فَرَاحَ الْكَلْبُ يَتَشَمَّمُهُ.

تَخَيَّلْ ذَلِكَ! تَخَيَّلْ أَنْ يَتَشَمَّمَكَ أَحَدُ الْكَائِنَاتِ الَّتِي تَرْتَعِبُ مِنْهَا دُونَ أَنْ تُحَرِّكَ سَاكِنًا! أَسْقَطَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْعَمَّ بيلي عَلَى الْأَرْضِ، فَدَحْرَجَهُ باوزر وَتَشَمَّمَهُ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى سَيِّدِهِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: «هَذَا الْكَائِنُ لَا يُثِيرُ اهْتِمَامِي، إِنَّهُ مَيِّتٌ. لَا بُدَّ أَنَّهُ ذَلِكَ الْكَائِنُ الَّذِي رَأَيْتُهُ يَدْخُلُ أَسْفَلَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ. كَيْفَ قَتَلْتَهُ؟»

ضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَرَفَعَ الْعَمَّ بيلي مِنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ ذَيْلِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ لِباوزر الَّذِي كَانَ يَسِيرُ مُتَوَاثِبًا تِجَاهَ الْمَنْزِلِ: «لَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْدَعَكَ يَا صَدِيقِيَ الْعَجُوزَ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ ذَلِكَ.» كَانَتْ زَوْجَةُ الْمُزَارِعِ براون وَاقِفَةً عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ، تُشَاهِدُهُمْ وَهُمْ يَقْتَرِبُونَ.

سَأَلَتِ الْأُمُّ ابْنَهَا قَائِلَةً: «مَاذَا لَدَيْكَ هُنَاكَ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَبُوسُومٌ! أَيْنَ قَتَلْتَهُ؟ هَلْ كَانَ هُوَ السَّبَبَ فِي وُقُوعِ تِلْكَ الْجَلَبَةِ بَيْنَ الدَّجَاجِ؟»

حَمَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْعَمَّ بيلي إِلَى الْمَطْبَخِ وَأَلْقَاهُ عَلَى مَقْعَدٍ، فَجَاءَتِ السَّيِّدَةُ براون لِتَنْظُرَ إِلَيْهِ عَنْ كَثَبٍ، وَقَالَتْ: «يَا لَلصَّغِيرِ الْمِسْكِينِ! يَا لَلصَّغِيرِ الْمِسْكِينِ! إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُؤْسِفٌ لِلْغَايَةِ أَنْ يُوَرِّطَ نَفْسَهُ فِي إِيذَاءِ الْآخَرِينَ فَيَسْتَوْجِبَ قَتْلَهُ، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ سَبِيلًا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ. لِسَبَبٍ مَا يَبْدُو لِي دَائِمًا أَنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَقْتُلَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةَ لِمُجَرَّدِ أَنَّهَا تَسَبَّبَتْ فِي بَعْضِ الْأَذَى، فِي حِينِ أَنَّهَا طِيلَةَ الْوَقْتِ لَا تَعْرِفُ أَنَّهَا تُسَبِّبُ الْأَذَى.» ثُمَّ رَبَّتَتْ عَلَى الْعَمِّ بيلي بِحُنُوٍّ.

لَمَعَتْ عَيْنَا ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَتَوَجَّهَ إِلَى أَحَدِ الْأَرْكَانِ وَجَذَبَ قَشَّةً مِنْ مِكْنَسَةِ وَالِدَتِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْعَمِّ بيلي وَأَخَذَ يُدَغْدِغُ أَنْفَهُ. بَدَتْ عَلَامَاتُ الْحَيْرَةِ عَلَى وَجْهِ السَّيِّدَةِ براون، وَكَانَتْ حَائِرَةً بِالْفِعْلِ.

سَأَلَتِ ابْنَهَا قَائِلَةً: «لِمَ تَفْعَلُ هَذَا؟»

أَجَابَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «لِمُجَرَّدِ التَّسْلِيَةِ.» وَوَاصَلَ دَغْدَغَةَ أَنْفِ الْعَمِّ بيلي. لَقَدِ اسْتَطَاعَ الْعَمُّ بيلي أَنْ يَتَحَمَّلَ أَنْ يُقْرَصَ ذَيْلُهُ، وَأَنْ يُحْمَلَ مَقْلُوبًا، وَأَنْ يُسْقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنْ أَنْ يُدَغْدَغَ أَنْفُهُ كَانَ أَكْبَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُ؛ فَأَرَادَ أَنْ يَعْطِسَ، كَانَ «لَا بُدَّ» أَنْ يَعْطِسَ، وَقَدْ فَعَلَ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْعَطْسِ، مَعَ أَنَّ هَذَا كَانَ سَيُكَلِّفُهُ حَيَاتَهُ.

صَاحَتِ السَّيِّدَةُ براون وَهِيَ تَقْفِزُ إِلَى الْخَلْفِ مُمْسِكَةً بِأَطْرَافِ تَنُّورَتِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهَا، كَمَا لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُ أَنَّ الْعَمَّ بيلي سَيُحَاوِلُ الِاخْتِبَاءَ وَرَاءَهَا — أَيِ التَّنُّورَةَ: «يَا إِلَهِي! هَلْ تَقْصِدُ أَنَّ هَذَا الْأَبُوسُومَ حَيٌّ؟»

أَجَابَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا، بَيْنَمَا عَطَسَ الْعَمُّ بيلي مَرَّةً أُخْرَى حَيْثُ كَانَتِ الْقَشَّةُ لَا تَزَالُ تُدَغْدِغُ أَنْفَهُ: «يَبْدُو ذَلِكَ، بِالتَّأْكِيدِ يَبْدُو الْأَمْرُ كَذَلِكَ. هَذَا الْمُجْرِمُ الْعَتِيدُ حَيٌّ مِثْلِي تَمَامًا، وَيَتَظَاهَرُ بِالْمَوْتِ لَا أَكْثَرَ. لَقَدْ خَدَعَكِ يَا أُمَّاهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَخْدَعْنِي. أَنَا لَمْ أَمَسَّ شَعْرَةً مِنْهُ، لَا بُدَّ أَنَّكِ تَعْرِفِينَنِي الْآنَ بِمَا يَكْفِي لِتَعْرِفِي أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ لِأُوذِيَهُ.»

نَظَرَ الصَّبِيُّ إِلَى أُمِّهِ مُعَاتِبًا، فَأَسْرَعَتْ بِالِاعْتِذَارِ إِلَيْهِ، وَسَأَلَتْ: «مَاذَا كَانَ عَسَايَ أَنْ أَظُنَّ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْكَائِنُ يَبْدُو مَيِّتًا، فَكَيْفَ تَبْدُو الْحَيَوَانَاتُ الْمَيِّتَةُ؟ مَاذَا سَتَفْعَلُ بِهِ يَا بُنَيَّ؟»

أَجَابَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا: «سَآخُذُهُ بَعْدَ الْإِفْطَارِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَأُطْلِقُ سَرَاحَهُ.»

وَهَذَا مَا كَانَ، وَلَمْ يُضِعِ الْعَمُّ بيلي وَقْتًا فِي الْوُصُولِ إِلَى بَيْتِهِ. وَمَرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ قَبْلَ أَنْ يُقَابِلَ الظَّرِبَانَ جيمي مَرَّةً أُخْرَى، وَحِينَ الْتَقَاهُ كَانَ الظَّرِبَانُ جيمي يَتَصَرَّفُ بِطَبِيعَتِهِ الطَّيِّبَةِ الْمُعْتَادَةِ، وَكَانَ الْعَمُّ بيلي حَكِيمًا بِمَا يَكْفِي لِعَدَمِ الْإِشَارَةِ لِلْبَيْضِ. وَهَكَذَا، سَنَتْرُكُهُمَا وَقَدْ عَادَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ مَرَّةً أُخْرَى.

هنداوي